

الصراع السياسي

في عهد السلطان السلجوقي بركيارق

وأهم مظاهر الحضارة فى عهده

(٤٨٥ـ ٤٩٨هـ/١٠٩٢ـ١١٠٤م)

إعداد

دكتور/ صلاح عاشور

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ أما بعد.

فإذا كان لكل دولة أوان للبذور، وأوان للنماء، وأوان للحصاد، فالقرن الخامس الهجري(١١م) يمثل أوان النماء للدولة السلجوقية(١)، حيث جاء

---

(١) السلاجقة: مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم "الغز" والتى سكنت إقليم "تركستان" في وسط آسيا، ونظراً لسوء الأحوال الاقتصادية في تلك المنطقة، اندفعت أو هاجرت إلى شرق العالم الإسلامي. وقد أطلق على هذه القبائل اسم السلاجقة نسبة إلى زعيمهم "سلجوق بن دقاق" الذي وحدهم تحت زعامته، فأصبحت تعرف باسمه. وكانت نقطة التحول في تاريخ هذه القبائل التركية عندما اعتنقت الإسلام وفق مبادئ المذهب السني، فزال الحاجز الذي كان يقف بينهم وبين اندماجهم في العالم الإسلامي. وأخذوا يتسربون إلى ممالك المسلمين، ويعملون في خدمة ملوكها وأمرائها. حتى استطاعوا تكوين قوة عسكرية كبيرة سيطروا بفضلها على ما يعرف الآن إيران، والعراق، وهيمنوا على الخلافة العباسية، كما حاربوا الدولة البيزنطية وأوقعوا بها هزائم منكرة. وأخذ التاريخ يذكر اسم السلاجقة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (11م) إذ بدأت قوتهم تظهر على مسرح الأحداث السياسية، ولاسيما بعد أن جلس أول سلاطينهم "طغرل بك"على عرش السلطنة في مدينة نيسابور سنة(٤٢٩هـ/١٠٣٧م) لمزيد من =

بعيد التمهيد وقبيل النضج والذبول، ففيه نما وأزهر كل ما بذره السلاجقة الكبار طغرل بك(٤٢٩ــ٤٥٥هــ/١٠٣٧ــ١٠٦٣م)(١)، ألب أرسلان (٤٥٥ــ٤٦٥هــ/١٠٦٣ــ١٠٧٢م)(٢)، ملكشاه (٤٦٥ــ٤٨٥هــ/ ١٠٧٢.١٠٩٢م)(٣) ، فى عصرهم الأول من بذور الخير والشر، ومن عناصر الصلاح والفساد، تميزت فيه الدولة بالقوة والمنعة، حيث كان السلطان يحكم

التفاصيل حول أصل السلاجقة ونشأتهم وقيام دولتهم وتوسعهم. انظر الحسيني: زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ص٢٣ وما بعدها تحقيق د/ محمد نور الدين دار اقرأ بيروت ١٩٨٢م. البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص١١، دار الآفاق الجديدة ط ٣ بيروت ١٩٨٠م.

(١) طُغرل بك: هو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب ركن الدين، أول ملوك السلاجقة . لمزيد من التفاصيل حول حياة طغرل بك انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ح ٥ ص٦٣ –٦٨ تحقيق د / إحسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٨م.

(٢) ألب أرسلان: هو محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، وكنيته " أبو شجاع " وهو اسم تركي معناه " أسد شجاع " فألب "شجاع"، وأرسلان "أسد"، وقد استعملت تلك الكلمة عند الشعوب التركية القديمة التي كانت دائما في قتال مستمر ٠ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص٦٩، ٧٠.

(٣) كان السلطان "ملكشاه بن ألب أرسلان" ملكا مظفرا مهيبا، استولت جيوشه على كثير من البلاد، حتى قيل إنه ملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين، فكانت مملكته تشتمل على جميع بلاد ما وراء النهر، وإيران، والعراق، وآسيا الصغرى، والجزيرة، والشام، وكانت جيوشه غادية رائحة بين أرجاء مملكته الواسعة. الراوندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص٢٠١– ٢٠٢. الحسيني: زبدة التواريخ ، ص١٤٧– ١٥١.





دولته حكماً مطلقاً، على اعتبار أنه سلطان الله فى أرضه وطاعته من طاعة الله، ولا يسأل عما بفعل(١)، وكانت الدولة على الرغم من اتساعها، يرجع الولاة إليه فى كل صغيرة وكبيرة، ولم يكن هناك من سلطة أو قوة فى الدولة تعلو على سلطانه، وظلت الدولة السلجوقية فى عصرها الأول قوية متماسكة، تخضع بكل مساحاتها الشاسعة لسلطان واحد.

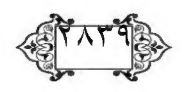
وهو أيضا القرن الذى اجتمعت فيه وتفاعلت مختلف التيارات السياسية والحضارية، حيث بلغ فى هذا العصر كل شيئ أقصاه ، كما بدت فيه عوامل القوة والفتوة، وظهر فيه أمارات الضعف والانحلال.

أجمعت روايات المؤرخين على أن "بركيارق" جاء إلى السلطنة سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وهو فى الثالثة عشرة من عمره خلفا لأبيه "ملكشاه"، الذى توفى فجأة، والذى كان عهد لابنه الأكبر "بركيارق" بالسلطنة من بعده، الأمر الذى أطمع الكثير من أبناء البيت السلجوقى فى منصب السلطنة، إذ أطمعهم صغر سن السلطان الجديد(٢).

---

(١) نظام الملك الطوسي: سياست نامة ص٤٥، ترجمة د/ يوسف حسين بكار، دار الثقافة، ط٢، قطر ١٩٨٧م .

(٢) يصف الراوندي"بركيارق" بقوله: "كان السلطان بركيارق مليح الوجه جدا، معتدل القامة، مقرون الشارب واللحية، مقرون الحاجبين". ولد فى أصفهان سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م) الراوندي: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ص١٤٥. الحسينى: الزبدة ص١٥٩. البنداري: دولة دولة آل سلجوق ص٤٨. والملاحظ أنه عندما ترجم "ابن خلكان" للسلطان "بركيارق" ذكر أن ولادته كانت سنة (٤٧١هـ/١٠٧٨م) وهذا خطأ، لأنه هو نفسه ذكر أن وفاته كانت سنة =



وأصبح لزاما على"بركيارق" إن أراد الاحتفاظ بمكانته وتثبيت عرشه، أن يقمع الآخرين، ويخضعهم لإرادته، ويمحو من صفحة الوجود من لا يقبل ذلك.

تعرض السلطان"بركيارق" للكيد من الأمراء والوزراء، بل من نساء القصر كذلك، كما كان أمراء الأسرة الحاكمة يمكرون بإخوانهم وأبناء إخوانهم، فى حين كان الخليفة مضطرا أن يصانع أولئك وهؤلاء، وهذا دليل على أن شهوة الحكم لا ترعى للسلطان ذرة من حساب.

ويبدو أن الثورات التى قامت فى وجه "بركيارق" تعود إلى أن أمراء الأسرة السلجوقية وكبراءها، لم يستطيعوا أن يتقبلوا ذلك التحول الذى وقع لقادة السلاجقة وارتفاعهم من رؤساء قبائل، إلى حكام مسموعى الكلمة مطلقى السلطة.

ومع ذلك كل مرة استطاع فيها "بركيارق" أن يخمد ثورة، ويتعامل مع محركها باللين وحسن المعاملة تارة، وبالشدة والبتر تارة أخرى، كانت كل مرة تخمد فيها ثورة، تشتعل أخرى.

وبالرغم من صغر سن "بركيارق" إلا أن الأحداث أثبتت تمتعه بقدر كبير من الكياسة والسياسة وحسن التصرف، كما كان سلطانا مهيبا قويا.استطاع أن ينتصر في أكثر الحروب التي خاض غمارها، مما ساعده على تحقيق أغراضه وبلوغ أهدافه.

(٤٩٨هـ/١١٠٤م) وكان عمره خمسا وعشرين سنة، وأقام فى السلطنة اثنتا عشرة سنة وأشهر. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص٢٦٨.

والحق أن آثار هذا الصراع لم تنته، إلا وقد تمزقت وحدة السلاجقة العظام وأصبحوا شيعاً وأحزاباً يتناحرون فيما بينهم من أجل الحصول على السلطة واعتلاء العرش، وتخلوا عن أهدافهم التوسعية.

المشهد السياسي للدولة السلجوقية بعد وفاة ملكشاه:

بلغت الأسرة السلجوقية أوج مجدها وعظمتها فى عهد السلطان "ملكشاه بن ألب أرسلان"(٤٦٥.٤٨٥هـ/١٠٧٢.١٠٩٢م)الذى تمتع بشخصية قوية(١) مسموعة الكلمة طوال فترة حكمه(٢)، ففي عصره اجتمعت معظم الأقاليم الشرقية للدولة العباسية إلى بعضها البعض، حتى صارت تمتد من بحيرة خوارزم شمالا إلى حدود اليمن جنوبا، ومن حدود الصين شرقا حتى سواحل البحر المتوسط غربا، وكان اسمه يذكر فى الخطبة، وينقش على السكة فى هذه الديار الواسعة جميعا، كما كان أمراء "الكرج"(٣) و"الأبخاز"(١) وإمبراطور

---

(١) كان"ملكشاه" يرافق أباه "ألب أرسلان" في حملته الأخيرة على بلاد ما وراء النهر. فلما قتل والده رجع على رأس الجيش السلجوقي إلى خراسان. بناء على نصيحة أسداها إليه الوزير نظام الملك الذي كان مصاحبا هو الآخر للحملة، وبالفعل جلس ملكشاه على العرش وكتب إلى حكام الأطراف والأقاليم يأمرهم بالطاعة والخضوع، كما كتب إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، كي يصدر له التفويض بالسلطنة، ويذكر اسمه في الخطبة. لمزيد من التفاصيل أنظر: البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق ص٥٠.

(٢) الحسيني: زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية. ص٢٣.

(٣) الكرج: مدينة بين همذان وأصفهان، وهى من بلاد فارس. ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص٤٤٦.

الروم يدفعون له الجزية(٢)، وانتشر الأمن فيها وساد الهدوء(٣)، وليس هذا فقط، بل إن قوة ملكشاه أرهبت أعداء الدولة ومناوئيها المجاورين لها شرقاً وغرباً، كالقرخانيين(٤) في سمرقند(٥)، والفاطميين في مصر(٦)، والبيزنطيين على الحدود الشمالية الغربية للدولة، تلك الحدود التي كانت سياسة ملكشاه

---

(١) الأبخاز: جبال صعبة وعرة المسالك، وهى من بلاد الكرج. ياقوت: معجم البلدان ج١ ص٦٤، دار صادر، بيروت ١٩٧٩م .

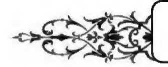
(٢) ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٦٤، ترجمة وتحقيق: د/ عبد النعيم محمد حسنين، د/حسين أمين، مطبعة جامعة بغداد١٩٧٩م. عبد النعيم محمد حسنين: دولة السلاجقة ص٧٢.

(٣) أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ج٢. ص١٦٣. مكتبة المتنبي. القاهرة. (د.ت).

(٤) القرخانيون:هم ملوك ما وراء النهر وسمرقند وبخارى، وصاحبهم هو "شمس الملك تكين" كان مشهورا بلقب "إيلك خان". الحسينى: زبدة التواريخ ص١١٧.

(٥) سمرقند: بلد معروف مشهور، قيل إنها من أبنية ذى القرنين بما وراء النهر وهى قصبة الصغد. ياقوت: معجم البلدان ج٣ ص٢٤٦.

(٦) بعد أن استولى الفاطميون على مصر وبلاد الشام وجهوا جهودهم أيضا إلى العراق الأمر الذى أقلق بال العباسيين بسبب وقوعهم تحت حكم البويهيين الشيعة، ونمو الفكر الشيعي ممثلا فى المد الفاطمي الإسماعيلي، وقد عبّر المقريزي عن التوتر الذى ساد الأوساط العباسية بقوله:"وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بأفريقية وبلاد المغرب ، وجهروا بمذهب الإسماعيلية. المقريزي:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص٣٥٧، دار صادر، بيروت (د.ت). عبد المجيد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي ص١٠٩.





ترمي إلى تدعيمها من خلال تعزيز وجود المقاتلين الأتراك في أذربيجان(١) وأرّان(٢)، ووصلت الدولة فى عهده إلى أقصى قوتها (٣) وعظمتها(٤).

بقيت مسألة علاقة ملكشاه بالخليفة، والتي ساءت في آخر أيامه، فقد قدم بغداد سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، وهي سنة وفاته، وذلك حين طالب الخليفة العباسي"المقتدي بأمر الله" (٤٦٧-٤٨٧هـ/ ١٠٧٤-١٠٩٤م)(٥) أن يغادرها، ورغم ما في ذلك من إحراجه، فقد حاول المقتدي عدم تنفيذ ذلك بالصمود لمثل هذه المطالب المتطرفة، وقبل أن يتم أي شيء مات ملكشاه نفسه في تلك السنة(٦).

---

(١) أذربيجان: من أشهر الأقاليم ، يقع بجوار بلاد الديلم أو إقليم الجبال الفارسي من أشهر مدنه "تبريز" و"أردبيل". و"أرمية" وهو بلد جليل يغلب عليه الجبال. ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص١٢٨.

(٢) أران: بلد من نواحى أرمينية، وهى بلاد واسعة تسميها العامة "كنجة. ياقوت: معجم البلدان ج١ ص١٣٦."

(٣) لمزيد من التفاصيل حول حدود الدولة السلجوقية فى أقصى اتساعها أنظر الخريطة السياسية للدولة السلجوفية فى الملحق رقم (١). سيف الدين الكاتب: أطلس تاريخ العرب والإسلام ص١١٤، دار الشرق العربي، ط٣، بيروت ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٤) الراوندي: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ص١٤٥.

(٥) المقتدي بأمر الله: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله وكان دينا خيرا خيرا قوى النفس من نجباء بني العباس. السيوطي: تاريخ الخلفاء. ص٤٧٣.

(٦) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص٥١. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ح٢ص١٢٥. ترجمة أمين فارس، ومنير البعلبكي. دار العلم للملايين، =



واللافت هنا محاولة السلطنة السلجوقية إحكام سيطرتها، في الوقت الذي حاولت فيه الخلافة التصدي لهذه السيطرة بمختلف الأشكال، وبدا للجميع أن الصورة بدأت تتغير كثيراً بعد ذهاب عصر السلاجقة العظام.

فقد ازدحمت الاثنتا عشرة سنة التي أعقبت وفاة ملكشاه بالاضطرابات، وملأتها الفوضى، وتعاقبت فيها الصراعات الداخلية، بين المتنازعين على السلطنة، من أبناء ملكشاه، وإخوانه، وأمرائهم، ووزرائهم، ولم تنته هذه الفوضى إلا بموت "بركيارق" الابن الأكبر لملكشاه(١).

ويمكننا القول بأن عهد "بركيارق" كان بمثابة النقلة بين عصرين، عصر وحدة السلاجقة، وانضوائهم تحت سلطة سلطان واحد، وعصر انقسامهم وتشتت أجزاء كيانهم الأول، ونشوء الأتابكيات(٢)، والدويلات المحلية(١).

بيروت ١٩٤٩م

(١) ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٦٥.

(٢) وظيفة تركية قديمة، تتألف من كلمتين هما "أطا" بمعنى آب، و"بك" بمعنى أمير، ثم قلبت الطاء "تاء" في الاستعمال . ومهمة الأتابك هي الوصاية على أولاد السلطان ورعايتهم والاهتمام بتربيتهم، وكانت هذه الوظيفة في معظم الأحيان مقصورة على الأمراء الترك. فقد جرت العادة السلجوقية أن يعهد بجميع أبناء السلطان القصر إلى أتابكة يتولون تنشئتهم، حيث كان السلاطين يرغبون إلى إسناد حكم الأقاليم المختلفة في سلطنتهم إلى أبنائهم، وقد أدى هذا النظام إلى أن أصبح على رأس الولايات السلجوقية ولاة من الأتابكة لا يدينون للسلاطين السلاجقة إلا بطاعة أسمية. وفي الوقت نفسه يتحينون الفرصة المناسبة للاستقلال بحكم ولاياتهم والتمكين لأسرهم. مما كان له أكبر الأثر في انهيار الدولة السلجوقية. حسن الباشا: الفنون الإسلامية =





ترك "ملكشاه" أربعة أولاد من ثلاث نساء "بركيارق" وهو الأكبر وكان عمره عندئذ ثلاث عشرة سنة، و"محمود" وعمره أربع سنوات، ثم "محمد"و"سنجر"، وهما من أم واحدة، وعمرهما يتراوح بين عمري أخويهما بركيارق ومحمود(٢)، وهؤلاء كلهم رغبوا في الحصول على السلطنة بدافع من عناصر أخرى كانت مقربة إلى ملكشاه أو ذات صلة نسب به(٣).

وفضلاً عن أبناء ملكشاه فقد كان هناك أخوته "تكش" و"تتش" و"أرسلان أرغون" وكل بدوره حاول أن يستحوذ على السلطنة، وأن يسمع الخطبة تقرأ له في عاصمة الخلافة (بغداد) بموافقة الخليفة العباسي(٤).

وأهم العناصر التي لعبت دوراً كبيراً في رسم سياسة هذه الفترة وتحريك أحداثها "مجموعة النظامية"، أبناء نظام الملك وزير ملكشاه، أوأقرباؤه، أو أعوانه الكثيرون.

كما لعبت النساء، وخاصة زوجات ملكشاه، دورهن في حبك المؤامرات السياسية من أجل إيصال أولادهن إلى السلطنة، فعملن على تكوين الائتلافات

والوظائف على الآثار العربية ج١ ص٣-٦. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٦٥م.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٨ ص٢٢، ٢٣. دار الكتب العلمية ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٨م.

(٢) الراوندي: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية. ص١٤٥.

(٣) البنداري: دولة آل سلجوق ص٥٢.

(٤) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجاوية. ص٢٦٤،٢٦٣. ترجمة د/ محمد علاء الدين منصور. دار الثقافة والنشر والتوزيع القاهرة. ١٩٨٩م.







بين قوات الجند، وجمع الأنصار حولهن، والاتصال بالعناصر الطموحة من الأمراء لتكوين تحالفات لتحقيق مصالحهن ورسم مستقبل أبنائهن(١).

كما كان مصرع نظام الملك سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)(٢)أمرا جللا وخسارة كبرى للعالم الإسلامي عامة، والسلاجقة خاصة، فقد كان يجمع بين قوة الشخصية، ورجاحة العقل، وصواب التدبير، وعاملا مهما من عوامل بنيان الدولة، كما كان وزيرا سياسيا بارعا ذا مقدرة عظيمة على إدارة الأمور، وممارسة العلم، نظرا لثقافته الواسعة، ويكفى ما خلّفه من كتب أعظمها كتابه "سياست نامة"(٣)الذى يتضمن كثيراً من النواحي الأدبية، والاجتماعية،

---

(١) حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص٧٩، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٥م.

(٢) نظام الملك: هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ولد سنة(٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) بقرية من نواحي طوس عمل في بداية حياته في دواوين الدولة الغزنوية بخراسان فلما أفل نجهم انتقل إلى خدمة السلاجقة الذين ورثوا الغزنويين بخراسان ثم لم يلبث أن اتخذه ألب أرسلان وزيرا له فلما قتل ألب أرسلان سنة(٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) اتخذ ملكشاه بن ألب أرسلان وزيرا له إلى أن قتل عام (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) على يد أتباع الحسن الصباح.ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص٦٤. الحسيني: الزبدة، ص١٤٠-١٤٥. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٦١. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص١٣٥. خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٤٥، ترجمة : د/ حربي أمين سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.

(٣) كان السلطان ملكشاه قد طلب فى سنة (٤٨٤هـ / ١٠٩١م) من كبار موظفيه أن يقدموا له تقريراً ضافياً عن الأوضاع السائدة في المملكة، على أن يتضمن المساوئ والنواقص التي يلحظونها، والتوصيات والخطط الممكنة لعلاج المشكلات =



والسياسية، والأسس التى يبنى عليها الملك، وتساس الرعية، كما كان للمدارس النظامية التى أنشأها فى بغداد، وغيرها من المدن أثر كبير فى النهضة الثقافية والعلمية فى الدولة (١).

وبعد مصرع "نظام الملك"عاد السلطان ملكشاه إلى بغداد، وعين "تاج الملك الشيرازي"(٢) فى الوزارة، ولكن لم يمهله القدر فقد توفي بعد وزيره بحوالى خمسة وثلاثين يوما فقط (٣).

التي يرونها، وذلك لما أحسّ بالنقص والفساد يدب في أوصال الدولة، والتي كانت من أكبر الدول التى عرفها التاريخ في القرون الوسطى، وشعر بخطورة البدع الخبيثة التي ألحقت الضرر بها، واختلال الأحوال الإدارية التي ستقضي عليها، فكان هذا كتاب "سياست نامة" الذى ألفه "نظام الملك" وقدمه للسلطان فنال إعجابه. خواندمير: دستور الوزراء. ص٢٤٥.

(١) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص٤٥، دار البحوث العلمية. ط١، الكويت، ١٩٧٥م.

(٢) تاج الملك أبي الغنائم" الشيرازي: هو تاج الملك مرزبان بن خسروي ، هو سليل أسرة إيرانية شهيرة من الوزراء، كان السلطان ملكشاه عينه رئيس ديوان الطغراء والإنشاء، بعد موت نظام الملك، ثم أصبح فى وقت قصير الوزير الأول فى الدولة، وحل أنصاره تدريجيا محل أنصار نظام الملك. فشاعت "تركان خاتون" (زوج السلطان) أن ترفعه في وجه نظام الملك وزير السلطان المقرب، ولعب دورا كبيرا فى مكائد البلاط.الراوندي: راحة الصدور ص٢٠٧. البنداري: دولة آل سلجوق ص٨٥، ٥٩. ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص٦٧.

(٣) الراوندى: راحة الصدوروآية السرور ص٢٠٧.

والواقع أن مقتل نظام الملك، ومن بعده ملكشاه بقليل واختفاؤهما من المسرح السياسي حدث جلل هز أركان الدولة السلجوقية وزلزلها زلزالا شديدا، حيث انفرط عقدها، وتمزقت وحدتها وقوتها، ووقع السيف وكثر التنازع بين أبناء البيت السلجوقى، وأدى إلى تفككها(١).

باختفاء السلطان ووزيره انتهى عهد القوة والاتحاد في دولة السلاجقة العظام . في خراسان وإيران والعراق . وبدأ عهد جديد من الضعف، وأصبح الظفر بمنصب السلطان غاية فى نفسه، فكثر النزاع بين أفراد البيت السلجوقى(٢)، ولم تعد الدولة تخضع لسلطان واحد، بل صار يتنازعها أكثر من سلطان فى وقت واحد، ولم يعد هدفهم توسيع رقعتها، والمحافظة على مكتسباتها، بل ومحاولة القضاء على بعضهم البعض حتى يخلو الجو للمنتصر منهم، وأدَّت كثرة الحروب بينهم إلى انفراط عقد الدولة، وتمزق وحدتها، وتلاشى قوتها؛ فضعفت سيطرتها على مختلف أقاليمها، وسقطوا جميعاً في النهاية(٣).

ويمكن تقسيم فترة حكم بركيارق من حيث صراعه في سبيل السلطنة إلى مرحلتين.

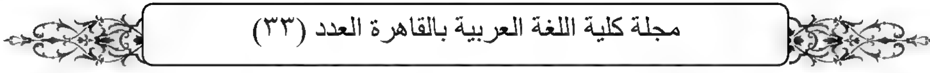
المرحلة الأولى: بركيارق ومحمود وتتش:

---

(١) تاماررايس: السلاجقة تاريخهم وحضارتهم. ص٢١، ترجمة لطفي الخوري. مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨م.

(٢) محمد عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ص١٠٩، ١١٠.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة في التاريخ والحضارة ص٤٦ .



امتـــدت هـــذه المرحلـــة مـــن ســـنة (٤٨٥هـــ/١٠٩٢م) إلـــى ســـنة (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) وكانت عناصر الصراع الرئيسة فيها، هي "بركيا رق" مؤيداً من النظامية، وأخيه"محمود" وتدبر وتخطط له أمه تركان خاتون(١)، وعمه تـــــــــــــــــتش(٢) صاحب دمشق(٣) وكان قد ولاه عليها أخوه ملكشاه في حياته(٤).

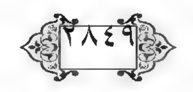
---

(١) تركان خانون: أو خاتون الجلالية كانت أخت حاكم بخاري وسمرقند شمس الملك تكين بين طغاج خان أحد ملوك ما وراء النهر وهي زجة السلطان ملكشاه وأم السلطان محمود بن ملكشاه بن ألب أرسلان. ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص١٢١، تحقيق د/ مصطفى جواد، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣م. الراوندي: راحة الصدور، ص٢٠٧.

(٢) تتش: هو تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل صاحب دمشق وحلب، قتل أتسز واستحوذ على دمشق منه، ثم تحارب هو وابن أخيه "بركيارق" ببلاد الري فكسره الأخير، وقتل في المعركة. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص ٢٩٥، ٢٩٦، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٦٨م

(٣) دمشق: قصبة بلاد الشام، سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها (أي أسرعوا). ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص٤٦٣.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩ ص٦٢، دائرة المعارف العثمانية ، ط١، حيدر أباد ١٣٥٩هـ.



السلطان محمود بن ملكشاه(٤٨٥ـ ٤٨٧هـ /١٠٩٢ـ ١٠٩٤م)

كانت المشكلة التى تفاقمت وواجهت الأسرة السلجوقية عقب وفاة السلطان ملكشاه مباشرة هي مسألة اختيار من يخلفه، ولم يكن هو ولا وزيره نظام الملك قد توصلا فيها إلى حل نهائي(١).

وكانت المشكلة قد برزت في أواخر عهد السلطان المتوفي، لكن وفاته المفاجئة حالت دون الوصول إلى حلٍّ حاسم فيها، وانحصر التنافس على العرش بين "بركيارق"، الابن الأكبر للسلطان المتوفي، والبالغ اثنتا عشرة عاماً من العمر، وكان في أصفهان يؤيده ويسانده أتباع الوزير نظام الملك، وبين أخيه الأصغر "محمود"، البالغ من العمر أربعة أعوام وبضعة أشهر، وكان في بغداد يوم وفاة والده، وهو ابن "تركان خاتون" الزوجة المحبوبة ذات النفوذ الواسع، الذى كان يلقى تأييداً ومساندة من الوزير "تاج الملك أبي الغنائم" الشيرازي، وانقسم السلاجقة على أثرها إلى فريقين متنازعين كل منهما يجاهر الآخر بالعداء(٢).

وكانت تركان خاتون ـ زوجة ملكشاه وأم محمود برفقته فى بغداد ـ من الذكاء حيث إنها أفادت من الفرصة وأخفت خبر وفاة زوجها ملكشاه، ريثما تتمكن من ترتيب أمور اعتلاء ابنها محمود العرش،محل أبيه(٣)، وأيضاً كي

---

(١) الحسينى: زبدة التواريخ ص١٦٠. بروان: تاريخ الأدب في إيران ج٢ص٢٣٠.

(٢) الحسينى: زبدة التواريخ ص١٦٠. عباس إقبال: تاريخ إيران ص٢٦٣.

(٣) محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة فى خراسان وإيران والعراق =





لا تصل الأخبار إلى الابن الأكبر"بركيارق" المقيم في أصفهان بمعيّة أتباع نظام الملك(١).

وحاولت تركان خاتون إن تكون حولها مجموعة من الرجال في مواجهة النظامية فاتخذت لها "تاج الملك الشيرازي" وزيراً، ودونما شك فقد أثار هذا الاختيار النظامية، من أولاد نظام الملك وأعوانه، الذين كانوا يرون في هذا الوزير أحد أعداء والدهم والمساهمين في موته، الأمر الذى أدى إلى انقسام السلاجقة إلى معسكرين متنازعين(٢).

ولما كانت هذه السيدة تسيطر على مقدرات الأمور في عهد زوجها، وتهيمن على الشئون المالية، أغدقت الأموال ـ التى جمعها ملكشاه ـ على الجند واستقطبتهم، حتى يقال إنها أنفقت أكثر من عشرين ألف ألف دينار فبايعوا ولدها محمود(٣).

ثم أرسلت أحد القادة الأتراك، ويُدعى "قوام الدين كريوغا"، إلى أصفهان(٤)ومعه خاتم السلطان ملكشاه للقبض على "بركيارق" وإيداعه

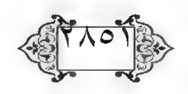
(٤٢٩ـ٥٩٠هـ/١٠٣٨ـ١١٩٤م) ص١٥٦،١٥٥، دار النفائس، ط١، بيروت ٢٠١٠م.

(١) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص٨١. عباس إقبال: تاريخ إيران ص٢٦٤.

(٢) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص٨١. ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٤.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٢. عباس إقبال: تاريخ إيران ص٢٦٤.

(٤) أصفهان: ويقال لها "أصبهان" و"أسبهان"، وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، وهى من بلاد الجبل . القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ، =



السجن؛ خشية منها أن ينازع ولدها على السلطة، كما أرسلت إلى دار الخلافة تطلب أن يعد الخليفة "المقتدي بالله"بالسلطنة لابنها محمود بن ملكشاه(١)، وأن تكون الخطبة باسمه، فرفض الخليفة ذلك بحجة أن ابنها صغير السن لا يليق بالملك(٢)، فهدَّدته بابنه "جعفر" من خاتون ابنة السلطان ملكشاه، وكان يعيش مع جده في أصفهان، فاضطر الخليفة عندئذ إلى الاستجابة لطلبها(٣) لكنه اشترط:

١. إعادة ابنه إليه.

٢. وأن يتولى الأمير أُنر . وهو أحد أمراء العسكر . تدبير الجيوش ورعاية البلاد .

٣ـ وأن يتولى تاج الملك أبو الغنائم الشيرازى جباية الأموال وترتيب العمال.

ولما كانت تركان خاتون تريد أن تكون الأمور بيد ولدها، فقد رفضت في بادئ الأمر شروط الخليفة، إلا أن الخليفة أصرَّ على موقفه وقال:"السلطنة والرئاسة والمحافظة على أصول السياسة وتعمير العالم ليس أمرا هينا كلعب الأطفال، ومن الصعوبة أن يتمكن طفل عديم التجربة أن يقر قواعد السلطنة،

ص٢٦٩ .

(١) ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٤. محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٥٧.

(٢) الراوندى: راحة الصدور ص ٢٠٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٨٤.

ويدفع حساد وأعداء المملكة...". وكانت ترد عليه بقولها: "ابن البط مهما كان صغيرا، لا يستطيع ماء البحر أن يجرفه"(١).

وكان الإمام "أبو حامد الغزالي"(٢) يتولى الوساطة بينهما، فأقنعها بعدم جواز ولاية ابنها؛ لأنه طفل صغير دون الخامسة من عمره،وأن هذا لا يجيزه الشرع، فوافقت على شروط الخليفة(٣).

وخطب لمحمود بالسلطنة على منابر بغداد في (٤٨٥هـ /١٠٩٢م) ولُقِّب بناصر الدنيا والدين، ومنحه الخليفة الخِلع السلطانية وأرسلها مع "عميد الدولة ابن جهير"(٤)، فأفاضها عليه وأبلغ والدته بتهنئة الخليفة، وتمَّ تعيين

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٣.ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٢،٧٣.

(٢) أبو حامد الغزالي: حجة الإسلام بحق دون مغالاة كان من فطاحل الفلاسفة ، ومن نوادر الدهر نبوغاً ، عاش الغزالى في عصر ظهرت فيه الطائفة الإسماعيلية فانبرت طائفة من العلماء لدفع هذه الظاهرة كان على رأسهم الإمام الغزالى فأحيا علوم الدين بمؤلفاته العديدة وله مؤلفات كثيرة في الفلسفة والرد على الفلاسفة منها " تهافت الفلاسفة " .ابن الجوزى : المنتظم ج٩ ص١٦٨. السبكى: طبقات الشافعية ج٣ ، ص١٠١ .

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٣.

(٤) عميد الدولة ابن جهير: هو أبو نصر محمد بن جهير الموصلى، كان وزيرا للأمير "نصر الدولة بن مروان" صاحب ديار بكر، وميافارقين، بعد وفاته تاقت نفسه للوزارة، فرحل إلى العراق ليضع نفسه فى خدمة الخلافة. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٤ ص٢١٢. خواندمير: دستور الوزراء ص ١٩٦.

تاج الملك أبى الغنائم وزيراً على أن يختص أُنر بتدبير الجيوش ورعاية البلاد(١).

وهكذا نجحت تركان خاتون في استخلاص الخطبة لولدها ببغداد، وإقراره سلطاناً من قبل الخليفة العباسي المقتدي بالله الذي لم يكن يملك أكثر من هذه الصلاحية في مجال السياسة في تلك الفترة(٢)، على الرغم من تردده فى بداية الأمر لصغر سن محمود، ولكنه عاد فوافق على توليه السلطنة(٣).

المنافسة بين محمود وأخيه بركيارق على السلطنة:

اعتقدت "تركان خاتون" أنها أمَّنت السلطة لابنها محمود، وأصبح في مأمن من أي منافسة، ولكن فاتها ما يكنُّه الجنود النظاميون من كراهية لوزير ابنها "تاج الملك أبوالغنائم الشيرازي" بفعل عدائه الشديد لنظام الملك، فمالوا إلى بركيارق، فثاروا في أصفهان وأخرجوا بركيارق من السجن، وأعلنوه سلطاناً في أصفهان وخطبوا له(٤)، بينما كان محمود قد أعلن سلطانا في بغداد، وبذلك أصبح للسلاجقة سلطانان في وقت واحد، أحدهما في "بغداد" والآخر في "أصفهان"، وأضحت المواجهة بينهما أمراً لا مفر منه(٥).

([1]) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٣. عباس إقبال: تاريخ إيران ص٢٦٥.

([2]) ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٢، ٧٣.

([3]) الراوندى: راحة الصدور وآية السرور ص٢١٥. أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة ص٤٦.

([4]) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٣.

([5]) ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٤. محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٥٧.

وكانت "تركان خاتون" آنذاك قد تحركت من بغداد متوجهة إلى أصفهان تبغي مجابهة بركيارق، ومعها ابنها محمود، ووزيره "تاج الملك أبو الغنائم الشيرازي"، ولما اقتربت من المدينة خرج بركيارق منها مع أتباعه النظَّامية، وتوجهوا إلى"الري"(١)، فأقام بها وأتخذ "عزّ الملك بن نظام الملك" وزيراً له فازداد التحام النظاميّة به(٢)، الذين كانوا يمتلكون نفوذاً كبيراً في هذه الأماكن حوله فانضم إليهم في الطريق الأمير "أرغش النظَّامي"(٣) ومعه جماعة من الأمراء ممن ينقمون على الوزير تاج الملك أبي الغنائم الشيرازي، عدو نظام الملك والمسؤول عن مقتله، وتمكَّن بفضل مساعدتهم من الاستيلاء على "قلعة طَبَرَك"(٤).

وعندما التقى الجيشان بالقرب من بروجرد(٥) في(٤٨٥هـ/ ١٠٩٣م) دارت بينهما رحى معارك ضارية، وعندما اشتد القتال انحازت جماعة من عسكر السلطان محمود إلى صفوف بركيارق، كان منهم الأمير"يلبرد" و"كمشتكين الجاندار"، فرجحت كفته، وانتهى القتال بهزيمة جيش السلطان محمود، ووقع وزيره تاج الملك أبو الغنائم الشيرازي في الأسر، فقتله الجنود

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٨٤، ٤٨٥.

(٢)عباس إقبال: تاريخ إيران ص٢٦٤.

(٣) الراوندى: راحة الصدور وآية السرور ص٢١٥.

(٤) قلعة طَبَرَك: قلعة على رأس جبل بقرب مدينة الرى . ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص١٦.

(٥) بروجرد: بلدة بين همذان وبلاد الكرج. ياقوت: معجم البلدان ج١ص٤٠٤.



النظَّامية في (٤٨٦هـ/١٠٩٣م)انتقاماً لمقتل صاحبهم نظام الملك، على رغم إرادة بركيارق الذي كان يرغب في استيزاره لكفاءته(١).

واضطرت الخاتون أن تنسحب إلى أصفهان حيث تبعها بركيارق بجيشه، ولما لم يجد حصار المدينة مجدياً، تركه عائداً إلى همدان حيث اتخذها مقراً له.

وسارت تركان خاتون مع ابنها السلطان محمود بعد الهزيمة إلى أصفهان الخالية من أنصار بركيارق، فدخلتها وتحصنت بها، فتبعها بركيارق وحاصر المدينة(٢).

وبذلت تركان خاتون الأموال لبركيارق حتى يفك الحصار عن المدينة، ثم اتفق الطرفان على الصلح، وتقسيم أراضي السلطنة السلجوقية بين الأخويين على النحو التالي:

ـ أن تكون بلاد أصفهان وفارس لتركان خاتون وابنها محمود .

ـ أن تكون باقي أراضي السلطنة، لاسيما القسم الغربي، من نصيب بركيارق وهو السلطان(٣).

ـ تدفع تركان خاتون مبلغ خمسمائة ألف دينار لبركيارق من ميراث أبيه(٤).

---

(١) ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٤.

(٢) محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٥٨.

(٣) طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٥٨.

(٤) الراوندي: راحة الصدور ص٢٠٨.







ويبدو أن تركان خاتون لم تكن صادقة النية في التفاهم مع بركيارق، فما إن فكَّ الحصار عن أصفهان حتى دخلت في مفاوضات مع خاله "إسماعيل ياقوتي" (١)أمير "أذربيجان"، ووعدته بالزواج إذا استطاع هزيمة بركيارق، وأرسلت إليه الآلات والأسباب والأموال والدروع . وبالفعل توجَّه إسماعيل ياقوتي على رأس جيشه لمحاربة ابن أخته، والتقى الجيشان بنواحي "الكرج" في (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)، وأسفر القتال بينهما عن انتصار بركيارق، وفرَّ إسماعيل ياقوتي إلى أصفهان في جو الهزيمة القائم(٢) وهناك استقبلته"تركان خاتون" وأكرمته، فخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه(٣).

وكاد أمر الزواج يتم بينهما غير أن الأمراء، ولاسيما الأمير "أُنر"، عارضوا ذلك خشية من بطش "بركيارق" ويبدو أنه خشي بدوره منهم، فغادر أصفهان ولحق بأخته "زبيدة"، والدة بركيارق، فأقام عندها أياماً، وحدث أن اجتمع مع بعض الأمراء وهم "كمشتكين الجاندار"، و"آقُسنقر" و"بوزان"، فبسطوه في القول، فأطلعهم على سره، وأنه طامع بالسلطنة والتخلص من بركيارق، فوثبوا عليه وقتلوه، وأعلموا أخته بذلك، فسكتت عنه(٤).

اعتراف الخلافة العباسية بسلطنة بركيارق:

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٨٥.

(٢) السابق: ج٨ ص٤٨٩، ٤٩٠.

(٣)ابن النظام: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٥.

(٤) الحسينى: زبدة التواريخ ص١٥٨.



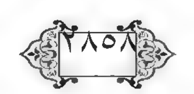


توجَّه بركيارق في (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) إلى بغداد بصحبة وزيره عز الملك الحسين بن نظام الملك، من أجل طلب التقليد من الخليفة، والخُطبة له على منابر المدينة، فاستقبل استقبالا حافلا، وعُرض التقليد على الخليفة، فلُقِّبه "ركن الدين"، وحمل الوزير "عميد الدولة بن جهير" إليه الخلع فلبسها، ولكن توفى الخليفة فجأة، فولي ابنه أبو العباس أحمد سدة الخلافة وتلقب"المستظهر بالله"(٤٨٧هـ/١٠٩٤م . ٥١٢هـ/١١١٨م)(١)، فاعترف ببركيارق سلطاناً على السلاجقة، وبايعه السلطان بالخلافة، وظل السلطان في بغداد حتى (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ثم غادرها إلى الموصل(٢).

---

(١) المستظهر بالله: هو أبو العباس احمد بن المقتدي بالله . ولد سنة (٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م) بويع له بالخلافة بعد موت أبيه وله من العمر ست عشرة سنة . كان لين الجانب ، كريم الأخلاق، محبا للعلماء والصلحاء، كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب. توفي سنة(٥١٢ هـ/ ١١١٨م) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤٧٦، ٤٨١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٨٠،٨١ . ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٨٨.



بركيارق وعمه تتش:

كان المنافس الثالث على السلطنة "تتش بن ألب أرسلان" الذى بدأ جهوده عقب وفاة أخيه السلطان ملكشاه لتحقيق هدفه، مستغلاً الصراع بين أولاد السلطان المتوفى فاصطدم من أجل ذلك بالقوى المختلفة الموجودة في هذه البلاد، وبخاصة "آق سُنقر" صاحب حلب(١)، و"بوزان" صاحب الرها(٢)، و"بني عقيل"(٣)في الموصل و"بني مروان"(٤)

---

(١) حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات وهي قصبة جند قنسرين من أعمال الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٢.

(٢) الرها: من مدن الجزيرة، تقع بين الموصل والشام. ياقوت: معجم البلدان ج٣ ص١٠٦.

(٣) بنو عقيل: قبيلة عربية اتخذت من الموصل ومنطقة الجزيرة الفراتية دار إقامة لها، وهى قبيلة شيعية المذهب . ولذلك كان لها دور واضح فى الأحداث السياسية فى المنطقة فى العصر البويهي، لاسيما فى الشام والعراق مستغلة حالة الضعف التى أصابت الدولة العباسية. منى عبد الغني حسن:إمارة بني عقيل فى الموصل وعلاقتها بالقوي الإسلامية المعاصرة لها (٣٨٠-٤٨٩هـ/٩٩٠-١٠٩٦) ص٢٥٢١، ٢٥٢٢. بحث منشور فى مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثالث والعشرون، الجزء الثالث، القاهرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

(٤) بنو مروان: تذكر الروايات أن أحد الأكراد ويدعى "باذ الكردى" كان من قطاع الطريق، فلما قوى أمره استطاع أن يفرض سيطرته على ديار بكر، وآمد، وميا فارقين، وبلغ به الطمع أن حاول الاستيلاء على الموصل من الحمدانيين، ولكنه قتل فى المعركة، فتولى الإمارة بعده ابنه، ليؤسس الإمارة المروانية. الفارقى: تاريخ =

في آمد (١)وميافارقين(٢)، بالإضافة إلى الفاطميين(٣).

وتجهز للزحف شرقاً لإخضاع البلاد لسلطانه، وأرسل إلى كل من "آق سُنقر" و"بوزان" يطلب مساعدتهما(٤). وكان من المستحيل على "آق سُنقر"أن يظل بعيداً عن الأحداث السياسية، وبخاصة أن الأوضاع في إيران(٥)،

الفارقى ص٥٠،٤٩. تحقيق: د/ بدوى عبداللطيف، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٤م.

(١) آمد: من أعظم مدن ديار بكر. ياقوت: معجم البلدان ج١ ص٥٦.

(٢) ميافارقين: من أشهر مدن ديار بكر. ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص٢٣٥.

(٣) بعد أن استولى الفاطميون على مصر وبلاد الشام وجهوا جهودهم أيضا إلى العراق الأمر الذى أقلق بال العباسيين بسبب وقوعهم تحت حكم البويهيين الشيعة، ونمو الفكر الشيعي ممثلا فى المد الفاطمي الإسماعيلي. وقد عبّر المقريزي عن التوتر الذى ساد الأوساط العباسية بقوله:"وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بأفريقية وبلاد المغرب، وجهروا بمذهب الإسماعيلية".المقريزي:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،ج٢ ص٣٥٧، دار صادر، بيروت(د.ت). البغدادي: الفرق بين الفرق ص٦٢ .

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٨٩. عباس إقبال: تاريخ إيران ص٢٦٤.

(٥) إيران: كلمة تعني مجموع سكان المنطقة التي يعيش عليها "الفرس" على امتداد الهضبة الإيرانية، وقد تعامل الفاتحون المسلمون مع هذه البلاد على أنها مناطق ذات خصائص مختلفة، كل منطقة فيها تشكل مركزا سياسيا وثقافيا مهما. وقد أفرد الجغرافيون المسلمون لكل منطقة من هذه المناطق الإيرانية وضعا خاصا. وأصبحت كلمة فارس تطلق على إحدى المناطق الإيرانية، ولكنها تشير أيضا إلي الفرس في عصر ما قبل الإسلام في الأدبيات العربية، وهذه التسمية مرادفة =

وخراسان، كانت لا تزال غير واضحة، وأدرك في الوقت نفسه مدى خطورة تحركات "تُتُش" على وضعه في حلب، وأنه أعجز من أن يقف في طريقه، فاضطر تحت ضغط الأحداث إلى إجابة طلبه، وقبل مكرهاً الاعتراف بسلطانه، وأبدى استعداده لوضع نفسه وقواته تحت تصرفه(١).

ولما مرَّ تُتُش في(٤٨٦هـ/١٠٩٣م) بأراضي حلب في طريقه إلى إيران وخراسان، انضم إليه "آق سُنقر" و"بوزان" و"ياغي سيان"حاكم أنطاكية(٢) وضمَّ أثناء زحفه مدن الجزيرة الفراتية، مثل الرحبة، ونصيبيين، وأخضع الموصل التابعة لبنى عقيل، ومَلَكَ آمد وميافارقين وأعمالهما وانتزعها من بنى مروان، فرتب أوضاع هذه البلاد وعيَّن حكامها وخطب لنفسه بالسلطنة، ثم سار منها إلى أذربيجان(٣).

ولم يكتف تُتُش بما حققه من توسع وانتشار، فأرسل إلى الخليفة العباسي المقتدى يطلب منه الاعتراف به سلطاناً على البلاد الخاضعة لحكمه، وأن

بالإجمال إلي التعبير العربي"العجم" أو"الأعاجم". ابن الفقيه الهمذاني: البلدان ص٦٠٨ـ حسن منيمنة : الدولة البويهية ، ص١٨ . حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٤٥٩ ، دار الفكر العربي ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٧٧م .

(١) ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٦.

(٢) أنطاكية: هي قصبة الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه وسعة الخير ٠ ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٢٦٦، ٢٧٠.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٨٥. عباس إقبال: تاريخ إيران ص٢٦٥.

يخطب له على منابر بغداد وبلدان الخلافة العباسية، وأن يحل اسمه محل اسم ابن أخيه محمود، فكان رد الخليفة عدم الإيجاب والمماطلة انتظار ما ستسفر عنه النزاعات الأسرية بين أولاد السلطان ملكشاه في إيران وخراسان (١).

ولما أدرك بركيارق ـ الذي كان بدوره قد ضم بعض المناطق لسلطته كالريّ وهمدان وما بينهما ـ بأن عمه تتش ينوي أخذ كل شيء، فسارع إلى مجابهته، وكذلك فعل تتش، ولكن خروج بعض القادة من جيش تتش وعلى رأسهم"آق سُنقر" و"بوزان" وتخليهم عنه أضعف موقفه واضطره إلى النكوص عائداً إلى الشام(٢).

وهنا نلحظ ظاهرة تبدل الولاء المفاجيء من قبل بعض قيادات جيوش أمراء السلاجقة، قبل أو أثناء المعارك، ظاهرة كثيرة التكرار في هذه الفترة بين السلاجقة، الأمر الذى شكَّل صدمة عنيفة لتُتُش، وحطَّم طموحه وآماله المستقبلية، وأدرك فوراً مدى تأثيره السلبى على أوضاعه؛ لأنه أضعف موقفه في لحظة حرجة، وقوّى موقف خصمه السلطان بركيارق وأجبره على التوقف عن الزحف والاصطدام به، واضطر إلى الانسحاب والعودة إلى بلاد الشام (٣).

ورغم تحذير كل من "آق سُنقر" صاحب حلب و"بوزان" صاحب الرها السلطان بركيارق من أطماع عمه تُتُش إلا أنه انشغل عنهم بشربه، فقررّ مطاردته والقضاء عليه، وتحرَّك الجميع باتجاه الرحبة التي توقَّف فيها تُتُش، للاصطدام به، فلما علم هذا الأخير بذلك غادرها على عجل، فاجتاز الفرات

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٩٦.

(٢) الحسيني: زبدة التواريخ ص١٦٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص٤٩٧.





قاصداً أنطاكية، فبقي فيها مدة ثم عاد إلى دمشق(١)، ويدل ذلك على وجود تقارب بينه وبين حاكم المدينة ياغي سبان موجَّه ضد آق سُنقر وحلفائه(٢).

وعُقد اجتماع رباعي في الرحبة ضمَّ السلطان بركيارق وآق سُنقر وبوزان وعلي بن مسلم بن قريش العقيلي، الزعيم العربي وصاحب الموصل، تمخَّض عن عقد تحالف بين الحاكمين السلجوقيين والأمير العقيلي تحت إشراف السلطان، هدفه الوقوف في وجه طموحات تُتُش، وعاد السلطان بعد ذلك إلى بغداد بعد أن ترك قوة عسكرية تحت تصرف آق سُنقر في حين عاد بوزان إلى الرها وآق سُنقر إلى حلب(٣).

لم ييأس تتش أثر فشل محاولته الأولى للاستحواذ على السلطنة ، فسرعان ما بدأ ثانية سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) خاصة بعد أن استفزه نجاح بركيارق في الحصول على الخطبة له من الخليفة المقتدي الذي توفي مباشرة بعد توقيعه على تقليد السلطنة لبركيارق الذي كان قد حضر إلى بغداد في تلك السنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)(٤).

قام تتش بالتحرك على وفق الخطة السابقة مع شيء من التعديل . فقضى أولاً على الأمراء الموالين لبركيارق في حلب، وبهذا فإنه لم يضم أحداً من أتباع بركيارق إلى جنده كي لا ينشقوا عليه في اللحظات الحاسمة، فضم حلب ثم حرّان، والرها، والديار الجزرية، ثم ديار بكر، وخلاط، ثم سيطر على

---

(١) الحسينى: زبدة التواريخ ص١٦١. ابن الأثير: الكامل ج٨ ص ٤٩٦.

(٢) البندارى: دولة آل سلجوق ص٨٣.

(٣) الحسينى: زبدة التواريخ ص١٦١.

(٤) الراوندى: راحة الصدور ص٢١٦.



أذربيجان، ثم سار إلى همذان(١) وسيطر عليها، وهناك حاول إضعاف وضع بركيارق بأن يستميل نفس الجماعة التي وراء نصرته، وهم النظامية باتخاذه فخر الملك بن نظام الملك وزيراً له(٢).

قرر "تتش" بعد عودته إلى دمشق الانتقام من "آق سنقر" و"بوزان" بعد أن خاناه وتخليا عنه في وقت الشدة ومنعاه من الحصول على السلطنة، فضم "ياغي سيان" حاكم أنطاكية بعد أن صاهره بزواج ابنه رضوان من ابنته، كما انضم إليه جماعة من بني كلاب وأحداث حلب ، واستعد لقتالهما (٣).

وخرج تتش من دمشق في (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) متوجهاً إلى حلب، وعندما علم آق سُنقر بخروجه، خرج هو الآخر من حلب على رأس جيشه للتصدى له خارجها ، ولم يتمكن حليفاه "كربوغا" و"بوزان" من اجتياز بعض سواقي نهر سبعين ما حرمه من قوة عسكرية هو بأمس الحاجة إليها، واضطر إلى خوض المعركة منفرداً عند تل السلطان والتي أسفرت عن خسارته، ووقوعه أسيراً في يد خصمه تتش الذي قتله على الفور، وفرت فلول جيشه المنهزمة إلى حلب(٤).

وتوجه تتش بعد انتصاره إلى حلب لضمها بعد أن خلت من القيادة ومن المدافعين عنها، في حين فر كربوغا وبوزان واجتمعا بأهل حلب حيث تقرر

---

(١) همذان: أكبر مدينة بإقليم الجبال ، بين طبرستان وأصفهان. ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص٤١٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٩٠.

(٣) ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٧.

(٤) الحسينى: زبدة التواريخ ص١٦١.





طلب مساعدة عاجلة من السلطان بركيارق، لكن السرعة التى وصل بها تُتُش إلى أسوار المدينة أحدثت ارتباكا بين سكانها (١).

وحدث أن جماعة من الأحداث ممن هم مع تُتُش فتحوا أحد أبواب المدينة ونادوا بشعاره، فدخلها وتسلمها كما تسلم قلعة الشريف، والقلعة الكبيرة من واليها نوح ، وقبض على كل من كربوغا وبوزان، وضم حران، فقتل "بوزان" وأرسل "كربوغا" إلى حمص وسجنه فيها، وملك الديار الجزرية كلها بما فيها الموصل، كما ملك ديار بكر بعد أن انتزعها من "بني مروان"، فجاور بذلك السلاجقة العظام في إيران وأذربيجان، وبعد أن رتَّب أوضاع حلب أستأنف الزحف باتجاه الشرق، وأخضع أذربيجان، وأرسل "يوسف بن آبق" على رأس قوة عسكرية إلى بغداد للاستيلاء عليها وطلب من الخليفة المستظهربالله الخطبة له على منابرها(٢).

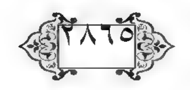
كان السلطان بركيارق آنذاك فى الجزيرة الفراتية، فلما علم بتقدم عمه إلى أذربيجان، خرج منها وعبر نهر دجلة من بلد فوق الموصل وسار إلى إربل ومنها إلى بلد سُرخاب بن بدر، إلى أن بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ، ولم يكن معه سوى ألف مقاتل، وكان عمه في خمسين ألفا، فاصطدمت به قوة عسكرية شامية بقيادة الأمير يعقوب بن آبق وهزمته، فتراجع إلى أصفهان، حيث أخوه ومنافسه محمود الذي كانت أمه قد ماتت لتوها ومرض هو أيضاً ومات، فالتف أنصاره حول بركيارق ونصروه على تتش(٣).

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٩٥، ٤٩٦.

(٢) طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٥٩.

(٣) الراوندى: راحة الصدور ص٢١٥. ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٩٦.



وسار "بركيارق" في (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، بعد أن انهزم أمام عمه تُتُش صاحب دمشق، إلى "أصفهان"، وكانت والدة أخيه السلطان محمود قد توفيت فصدَّه أهلها ، ثم أذنوا له، خديعة منهم ليقبضوا عليه، فلما اقترب من المدينة خرج أخوه السلطان محمود لاستقباله، وما إن دخلها حتى قبض عليه الأميران "أُنر" و"بلكابك" وسجناه، وهمَّا بسمل عينيه، وحدث آنذاك أن حُمَّ أخوه السلطان محمود وجُدر ثم توفي، فأفرج الأمراء عنه، واختاروه سلطاناً على السلاجقة(١).

ويعد هذا الانتصار خاطب تتش الخليفة الجديد المستظهر بالله يطلب الخطبة له وتقليده السلطنة، دأب من سبقه من خلفاء ضعفاء، فقطعت الخطبة وألغى اسم بركيارق، وخُطب لعمه تُتُش(٢). وتقدم تُتُش في هذه الأثناء نحو الري وكتب إلى ابنه رضوان يستدعيه من دمشق، فتوجَّه إليه ومعه بقية ممن تخلَّف من أصحابه في بلاد الشام، وراسل أمراء التركمان(٣) في أصفهان

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٩٦.أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة في التاريخ ص٤٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٨٤.

(٣) التركمان: فصيل من الفصائل التركية التى توافدت من وسط آسيا نحو المناطق الحضرية فى إيران، لاسيما بعد أن نجح السلاجقة فى تكوين دولة لهم فى إيران، وكان إقليم "أذربيجان"، هو قاعدة التركمان الأساسية لأن وديانها الخصبة تصلح مراعى لقطعان البدو حيث تقوم فيها الزراعة. والواقع أن السلطان "طغرل بك" كان يعتبر نفسه رأس التركمان والغز كافة، وآية ذلك أنه لما قام التركمان بمهاجمة الموصل سنة (٤٣٥هـ/١٠٤٤م) فى وحشية صارخة، كتب طغرل إلى "جلال الدولة البويهي يعتذر له عن مسلكهم ، واصفا إياهم بالأتباع المتمردين الذين =





لاستقطابهم وبذل لهم الوعود الكثيرة ، فأجابوه بالإيجاب، ووعدوه بالانحياز إليه وهم ينتظرون جلاء وضع السلطان بركيارق الصحي حيث كان مريضاً بالجدري، فلما شفي من مرضه، أرسلوا إلى تتش يخبرونه أن ليس بينهم وبينه إلا السيف(١)، وساروا مع بركيارق إلى الري(٢).

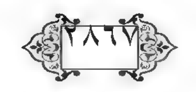
كان موقف السلطان بركيارق دقيقاً وحرجاً، إلا أنه استجمع قوته وأنصاره الجدد أتباع محمود، وأتخذ له وزيراً جديداً من أبناء نظام الملك وهو "مؤيد الملك"(٣)، وذلك بعد أن مات أخوه عز الملك. وقام مؤيد الملك بمكاتبة الأمراء العراقيين والخراسانيين فاستمالهم إلى جانب بركيارق فقوى مركزه وكثر جنده وأول شيء فعله بعد ذلك في هذه السنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) قبل أن يتوجه إلى قتال عمه تتش هو قضاؤه على عمه الآخر "تكش الضرير" الذي كان والده

يستحقون العقاب . ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٢٣٤. أحمد معوض: تاريخ المشرق الإسلامى ص٣٠، ٣١ .

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٩٦.

(٢) الرى: قصبة بلاد الجبل، بينها وبين نيسابورمائة وستون فرسخا، وإلى قزوين سبعة وعشرين فرسخا. ياقوت: معجم البلدان ج٣ ص١١٦.

(٣) مؤيد الملك: وزير السلطان محمد بن ملكشاه، كان قد أسره السلطان بركيارق بعد هزيمته لأخيه محمد بن ملكشاه، فلما احضر بين يديه، أطلعه السلطان علي ما اعتمده معه من سب والدته مرة، ونسبته إلى مذهب الباطنية أخري، وأنه من حمل أخيه محمد علي عصيانه والخروج عن طاعته إلى غير ذلك، ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة، فقتله السلطان بيده وألقي به علي الأرض عدة أيام قبل أن يأمر بدفنه. ابن الأثير :الكامل ح ٩ ص٣١. ابن الجوزي: المنتظم ح٩ ص٩. عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ص١٩٣، ١٩٤.





ملكشاه قد حبسه في قلعة تكريت ثم تلقاه "بركيارق" واحترمه، ولكنه عاد واستجاب لنداءات تتش بالتمرد على بركيارق واللحاق به. فقضى بركيارق عليه، ثم مع حلول السنة الجديدة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) سار إلى عمه تتش والتقى به في معركة قرب الري انتهت بهزيمة جيش تتش وقتله(١).

وبمقتل تُتُش أضحى السلطان بركيارق حاكماً منفرداً على الدولة السلجوقية، إلا أنه اكتفى بحكم إيران وبغداد، ولم يحاول حكم بلاد الشام (٢).

بركيارق وعمه أرسلان أرغون:

بعد الانتصار الساحق الذى حققه بركيارق قوي أمره، وكادت تمر السنين بسلام، وبدأ منافسوه يفكرون بعمل منسقٍ فيما بينهم ضده، وكان صاحب هذا المشروع هو عمه "أرسلان أرغون"، الذى كان في بغداد عند أخيه السلطان ملكشاه، فلما توفي السلطان غادر المدينة إلى نيسابور(٣) للاستيلاء عليها، فصدَّه أهلها وامتنعوا عن تسليمها له، فسار منها إلى"مرو"(٤) وتسلَّمها بمساعدة شحنتها قودن، وتدفَّقت عليه العساكر من كل مكان، فقوى أمره وملك "بلخ" و"ترمذ" و"نيسابور" وسائر خراسان(٥).

---

(١) الحسيني: الزبدة ص١٦٤. ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص٨٧.

(٢) الراوندى: راحة الصدور ص٢١٩.

(٣) نيسابور: مدينة عظيمة بخراسان.ياقوت: معجم البلدان. ج٥ ص٢٣١.

(٤) مرو: هي من أشهر مدن خراسان وقصبتها العظمى بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا. ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٢٦٢.

(٥) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢١.







وكتب إلى ابن أخيه السلطان "بركيارق" ووزيره "مؤيد الملك" يخبرهما بما سيطر عليه، وأنه لن يتعداها إلى مناطق أخرى، وأنه لن يخرج عن طاعته وسيستمر في تنفيذ أوامره، ويطلب إقراره على خراسان وعرض تقديم الأموال مقابل ذلك ووعد بعدم المنازعة في السلطنة(١).

وفعل "أرسلان أرغون" ما فعله غيره من طالبي السلطة من السلاجقة باتخاذه أحد أبناء نظام الملك، وهو"عماد الملك" وزيراً له، فأرسل بركيارق إليه جيشاً هزمه، ولكنه عاد فتمكن من هزيمة الجيش نفسه سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)(٢).

ولما كان السلطان "بركيارق" في صراع مع أخيه السلطان محمود، أظهر موافقته على ما جاء في رسالة عمه، وهو في الحقيقة غير راض عن ذلك، وما لبث أن أرسل إليه قوة عسكرية لإخضاعه بقيادة عمه الآخر "بوريرس" ابن السلطان ألب أرسلان اصطدمت به في خراسان(٣) وتغلبت عليه، ففر إلى "بلخ"(٤) حيث جمع الكثير من العساكر، وانضمت إليه حشود كبيرة من

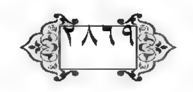
---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص٧.

(٢) السابق: ج ٩ ص٧.

(٣) خراسان: كانت خراسان إحدى الأقاليم المزدهرة في العصور الوسطى، وهى اليوم تشمل القسم الغربي من أفغانستان. كي لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص٤٢٣ ، ترجمة : بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة ط٢ بيروت ١٩٨٥م .

(٤) بلخ: من أجل مدن خراسان ، وأكثرها خيرا ، وأوسعها غلة ، تحمل غلتها إلى جميع خراسان، وإلى خوارزم ، ينسب إليها كثير من العلماء ، والنسبة إليها بلخي . ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص٤٧٩ .



التركمان، وعندما شعر بقوته، سار إلى مرو، واستولى عليها عنوة، فخرب أسوارها وقتل كثيراً من أهلها، فسار إليه "بوربرس" من هراة(١) واصطدم به في مرو إلا أنه تعرض للهزيمة، فتراجع إلى بلخ في جو الهزيمة القاتم غير أنه قبض عليه، وحمل إلى "أرسلان أرغون"، وهو أخوه، فسجنه بترمذ ، ثم أمر به فخنق بعد سنة من حبسه، وذلك فى عام (٤٩٠هـ/١٠٩٧م)(٢).

ويذكر الراوندي(٣)أن "بركيارق" كان شديد التهيب من عمه "أرسلان أرغون" لأنه كان يمتاز بالشجاعة، والتهور، وعدم الخوف، بالإضافة إلى ما لديه من جنود كثيرين.

ومع ذلك لم يسكت السلطان بركيارق على هزيمة عمه "بوربرس" وخشى أن يستقل عمه بحكم خراسان، ما دفعه إلى إرسال جيش آخر لمحاربته والقضاء عليه بقيادة أخيه "سنجر"، الذى عينه والياً على خراسان، وأرسل معه الأمير "قماج" أتابكه. وكان "أرسلان أرغون" قد قُتل فى غضون ذلك على يد أحد غلمانه بسبب شدته عليهم، ولم يعلم سنجر بذلك، فلما وصل إلى "دامغان" علم بخبر مقتله، فتوقف في هذه المدينة حتى لحق به السلطان، وساروا جميعاً إلى نيسابور، فملكوها في (٤٩٠هـ/١٠٩٧م) ودانت للسلطان بلاد خراسان كلها، ثم عاد إلى بغداد، وقد تولى سنجر الحكم على هذه البلاد

---

(١)هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان قال عنها ياقوت : " لم أر بخراسان عند كونى بها في سنة (٦٠٧ هـ/١٢١١م) مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها ؛ ياقوت: معجم البلدان ، ج٥ ص٣٩٦.

(٢) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢١.ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص٧.

(٣) راحة الصدور ص٢٢١. محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٥٩.

في عهد أخيه السلطان بركيارق مدة عشرين عاماً، وكان والياً على بلاد ما وراء النهرين(١)أيضاً، ومن ثم فقد سمى ملك المشرق(٢).

والحق أن آثار هذا الصراع لم تنته، إلا وقد تمزقت وحدة السلاجقة العظام وأصبحوا شيعاً وأحزاباً يتناحرون فيما بينهم من أجل الحصول على السلطة واعتلاء العرش، وتخلوا عن أهدافهم التوسعية(٣).

<u>المرحلة الثانية، الصراع بين السلطان بركيا رق وبين أخويه محمد وسنجر:</u>

لعل أبرز ما واجهه السلطان "بركيارق" من مشكلات هدَّدت دولته، ذلك الصراع الذي نشب بينه وبين أخويه محمد وسنجر والذي استمر خمسة أعوام (٤٩٢. ٤٩٧هـ/١٠٩٩. ١١٠٤م)، وكان للتنازع على منصب الوزارة أثر كبير في تأجيج هذا الصراع.

والواقع أن"بركيارق" بذل جهداً جهيداً في سبيل أن يخلي بقاع الدولة من منافسيه، وتحرك كالمكوك جيئةً وذهاباً هنا وهناك، مابين الري، وبغداد، وهمدان، وأصفهان، وخراسان، والجزيرة، فأخضع مناوئيه بل قضى على معظمهم، وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة سنة.

---

(١) ما وراء النهر: لفظ استخدمه المؤرخون والجغرافيون المسلمون للتعبير عن المنطقة المحصورة بين نهري جيحون في الجنوب وسيحون في الشمال، وسكان تلك المنطقة من العنصر التركي. بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى ص٢، ٣. ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

(٢) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢١. ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص٨.

(٣) طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٥٩.

ويبدو أنه أعتقد أن خير شيء يفعله لضبط أطراف الدولة أن يوكل أخويه الصغيرين من أبيه، سنجر ومحمد.

أما "سنجر" فقد كان عندما بدأ "بركيارق" بمحاولة تسليمه مقاليد بعض الأمور سنة (٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م) في الحادية عشرة من عمره، حيث وضعه على رأس جيش، وعين له أتابكاً، ووزيراً، وسيره إلى خراسان لقتال "عمه أرسلان أرغون"، وذلك قبل مقتله، فلما سمعوا بمقتله جاء "بركيارق" إلى خراسان وأخذ الولاء لنفسه فيها، وكذلك في بلاد ما وراء النهر ثم عاد تاركاً عليها "سنجر" الذي أحسن منذ البدء القضاء على الثائرين ضده فيها(١).

أما بالنسبة لمحمد بن ملكشاه، الأخ الآخر، فقد كان أيضاً مع بركيارق منذ خلافه مع تركان خاتون أم محمود . وكان يسير مع أخيه في رحلاته أو تنقلاته، ثم جعله بركيارق أميراً على "كنجة" وأعمالها وجعل معه أيضاً أتابكاً كما فعل مع أخيه سنجر فيما بعد، فلما قوي قتل أتابكه هذا، وسيطر على جميع أعمال "أران" التي من جملتها كنجة (٢).

لقد شغل محمد هذا في صراعه مع أخيه بركيارق، السنوات الخمس التالية بالحروب كما برزت ظاهرة تغيير الولاءات من الأمراء الأتراك فيما بين محمد وبركيارق، وقد لعب سنجر دوراً في الأحداث كمساعد لمحمد ضد بركيارق، كما دخلت النظامية بثقلها إلى جانب محمد، بينما لم يبق لبركيارق سوى كفاءته العسكرية وإخلاص مجموعة من جنده له.

---

(١) طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٦٣.

(٢) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢٢.

ونلاحظ أن محمدا بدأت تظهر عليه بوادر التمرد ضد أخيه بركيارق عند انضمام الوزير "مؤيد الملك" إليه، والذي عمل يوماً في تنسيق جيش بركيارق وتحقيق النصر له ضد عمه، والذى كان قد استبدله "بركيارق" بأخيه فخر الملك سنة (٤٨٨هـ /١٠٩٥م) ولم يفكر "مؤيد الملك" بالانتقام من أخيه، بل فكر بالتآمر ضد السلطان نفسه، فأخذ يتصل بأعدائه ومنافسيه، حتى اتصل بمحمد بن ملكشاه، الذي كان قد أصبح والياً على أقليم "أذربيجان" فقربه محمد، واتخذه وزيراً ليعيد نفس النهج الذى اتبعها غيره من أمراء السلاجقة، لكي يحصل على تأييد أسرة نظام الملك المتنفذة(١).

فقد أخذ نفوذ "محمد بن ملكشاه" يقوى وينتشر بعد انضمام "مؤيد الملك" إليه، وراح هذا يُشجِّعه على خلع أخيه السلطان بركيارق حتى تمكن من إقناعه بذلك، واتخذه محمد وزيراً، كما انضم إليه "سعد الدولة كوهرائين"(٢) شحنة بغداد سابقاً، و"كربوغا" صاحب الموصل، و"جكرمس" صاحب الجزيرة الفراتية، و"سرخاب بن بدر" صاحب "كنكور"، بفعل نفورهم من السلطان بركيارق(٣).

---

(١) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢٣. خواندمير: دستور الوزراء ص٢٦٨.

(٢) سعد الدولة كوهرائين: كان سعد الدولة من الخدم الترك الذين ملكهم "أبو كاليجار البويهي" وبعد وفاته خدم سعد الدولة؛ السلطان "ألب أرسلان" وبعد مقتله أرسله "ملكشاه" إلى بغداد وأقطعه واسط، وجعله شحنة بغداد، ولما اختصم "بركيارق" وأخيه "محمد" وقف إلى جانب بركيارق، سقط به فرسه وعليه سلاحه فقتل سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) ابن الجوزى: المنتظم ج٩ ص١١٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص٢٢،٢١. طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٥٩.

اجتمع الأمراء الثائرون بمحمد وساروا معه إلى الري في طريقه إلى أصفهان للاستيلاء عليها، فأعاد "سعد الدولة كوهرائين" إلى بغداد بعد أن خلع عليه، وأمره أن يقيم الخطبة له في عاصمة الخلافة بدلاً من أخيه السلطان بركيارق(١).

لقد أعلن محمد سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) نفسه سلطاناً، ودأب للحصول على قبول الخليفة المستظهر للخطبة له في بغداد، فحصل على ما تمناه، ولكن هذه الخطبة سرعان ما عادت لبركيارق في السنة التالية عندما قدم إليها بنفسه مهدداً(٢). وكان بركيارق عندما علم السلطان بخروج أخيه . وكان في الري . غادرها إلى أصفهان، فصده أهلها، فلحق بخوزستان.

واجتمع "سعد الدولة كوهرائين" في غضون ذلك مع الخليفة المستظهر(٤٨٧. ٥١٢هـ/١٠٩٤. ١١١٨م) وطلب منه وقف الخطبة للسلطان بركيارق، والخطبة لمحمد، فاستجاب الخليفة لطلبه، إذ لم يكن بوسعه أن يرفض، وهو الأضعف على الساحة السياسية، وبخاصة أنه شعر بقوة محمد وقوة نفوذه، فاعترف به سلطاناً على السلاجقة، وخطب له على المنابر سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٩م) ولقَّبه غياث الدنيا والدين(٣).

وهكذا وُجد سلطانان في وقت واحد معترف بهما من الخليفة العباسي، وكان مرد ذلك كله التنازع على منصب الوزارة(٤).

---

(١) خليل إبراهيم السامرائي: تاريخ الدولة العربية الإسلامية ص٢٤٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص٢٢، ٢٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص٢٢.

(٤) خليل إبراهيم السامرائي: تاريخ الدولة العربية الإسلامية ص٢٤٨.

لم يركن "بركيارق" إلى الهدوء وهو يرى تصاعد نفوذ أخيه السلطان محمد ومنافسته له على السلطة، فاصطدم به في خمس معارك خلال مُدد زمنية متقاربة ومتباعدة، وتداولا النصر، والهزيمة، والخطبة على منابر بغداد خمس مرات، كانت الغلبة فيها فى أربع منها لـ "بركيارق" وانتهى الأمر بصلح بين الأخوين(١).

وحصلت أول حرب بين الطرفين سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) في موقع قريب من همذان وانتهت بهزيمة بركيارق، وعودة الخطبة لمحمد في بغداد(٢)، ولكن بركيارق الذي دربته الأحداث لم ييأس رغم أنه هزم في السنة نفسها من سنجر عندما حاول التوجه إلى خراسان بعد هزيمته أمام محمد(٣).

وفي السنة التالية كان بركيارق قد استجمع قواه وجمع مناصريه فعاد إلى همدان والتقى بمحمد، ورغم تفوق جيش الأخير بحوالي ثلاثة أضعاف فإن النصر حالف بركيارق هذه المرة . وبعد فترة تنقل فيها المتنافسان في خراسان، وغربي إيران، وبغداد، حصل لقاء ثالث سنة (٤٩٥هـ/١١٠١م) ولكنه انتهى بصلح دون هزيمة أي طرف(٤) .

---

(١) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢٨.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص

(٣) ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص٣٢.

(٤) خليل إبراهيم السامرائي: تاريخ الدولة العربية الإسلامية ص٢٤٩.

ثم رابع في السنة نفسها هزم فيها محمد، ثم خامس وهو الأخير سنة (٤٩٦هـ/١١٠٢م) في أذربيجان انكسر فيه جيش محمد ولكنه بقي حياً، وانسحب إلى داخل بلاد أرمينية(١).

وبعد أن أنهكت الحروب كلا الطرفين، كما أنهكت البلاد التي جابوها يتبع أحداهم الآخر ويطارده فتذمر السكان، وساء الاقتصاد، وفرضت الضرائب غير المعقولة من كلا المتنافسين على السكان من أجل سد نفقات الحروب، اتفقا على الصلح بينهما.

ولا أجد قولا جامعا فى وصف هذا العصر من نواحيه المختلفة أفضل من هذه العبارة التى يصف فيها "ابن الأثير"(٢)الحال فيقول:"عم الفساد فصارت الأموال منهوبة، والدماء مسفوكة، والبلاد مخربة، والقرى مخرقة والسلطنة مطموعاً فيها محكوماً عليها، وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين وكان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وإذلالهم".

وقد أدرك السلطان"بركيارق" ذلك، وكان آنذاك في الرى والخطبة له بها وبالجبل، وطبرستان(٣)، وفارس، وديار بكر(١)، والجزيرة الفراتية، وبالحرمين

---

(١) طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٦٤.

(٢) الكامل: ج ٩ ص٧٠، ٧١.

(٣) طبرستان: هى بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم ، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحى الجبال ومن أشهر مدنها، "جرجان"، و"استرباذ"، و"آمل"، والنسبة إليها "طبرى". ياقوت معجم البلدان ج٤ ص١٣.





الشريفين وبعض البطائح، فمال إلى الصلح مع أخيه السلطان محمد، الذي كان آنذاك بأذربيجان والخطبة له فيها، وفي بلاد أرانيه، وأرمينية، وأصفهان، والعراق كلها باستثناء تكريت وفي بعض البطائح، فأرسل إليه القاضي "أبا المظفر الجرجاني الحنفي" و"أبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذاني"، المعروف بصاحب قراتكين، لتقرير قواعد الصلح، فاجتمعوا به بالقرب من مراغة وأجروا معه مباحثات ناجحة في (٤٩٧هـ/١١٠٤م) أسفرت عن توزيع أراضي الدولة السلجوقية وفقاً لما يلي:

١ . أن يكون للسلطان محمد البلاد من نهر أسبيذرود إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام، ويكون له في العراق البلاد التي كانت تحكم من قبل "سيف الدولة صدقة بن مزيد"(٢).

٢ . يكون نصيب السلطان بركيارق الأقاليم الجنوبية.

٣ . يحمل كل منهما لقب سلطان.

٤ . لا يعترض السلطان بركيارق على ضرب الطبول أمام دار أخيه السلطان محمد خمس مرات إيذاناً بدخول وقت الصلاة.

٥ . أن لا يذكر اسم السلطان"بركيارق" بجانب اسم السلطان محمد في البلاد التي صارت من نصيبه.

٦ . أن لا يكون الاتصال بينهما إلا عن طريق الوزراء.

---

(١) ديار بكر: بلاد واسعة تقع غرب دجلة، منها حصن "كيفا" وآمد، وميافارقين. ياقوت معجم البلدان ج٢ ص٤٩٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص١٣٨ .







٧ . أن لا يعترض أحد العسكريين الآخر داخل حدود كل منهما .

٨ . يكون نصيب السلطان سنجر خراسان وما وراء النهر.

وأرسل السلطان "بركيارق" يعلم الخليفة "المستظهر" ما تقرر من قواعد الصلح بينه وبين أخيه ويطلب الخطبة له، فاستجاب الخليفة لطلبه، فخطب له في الديوان، وفي اليوم التالي في سائر المساجد، كما خطب له بواسط (١).

ولما استقرت الأمور وأصبحت الخطبة في بغداد لبركيارق، استقر رأي الأخوين على عقد الصلح بينهما وإنهاء الصراع، خاصة وأن هناك خطراً جديداً ظهر فى الأفق وهو الغزو الإفرنجي الصليبي لبلاد الشام وبيت المقدس منذ سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) الذي بدأ يزداد تفاقماً ويعرض سمعة السلاجقة، كمسلمين من مسؤوليتهم الدفاع عن الأمة ضد أعدائها .

هكذا انتهى عصر بركيارق عندما توفي سنة (٤٩٨هـ/١١٠٤م) وقد انقسمت البلاد إلى ثلاثة محاور رئيسية البلاد الشمالية بيد محمد، والبلاد الجنوبية بيد بركيارق، أما خراسان وما ألحق بها فقد خضعت لسنجر، ثم هناك دويلات صغرى أو إمارات تقاسمتها أيدي الأمراء المقدمين لدى السلاطين والملوك السلاجقة(٢).

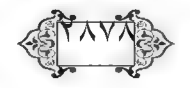
وقد لخص أحد المؤرخين المعاصرين (٣) الحديث عن شخصية بركيارق وجهوده بالعبارات الآتية "إن حكم الأجيال على بركيارق هو أنه لم يكن بالرجل

---

(١) الحسينى: زبدة التواريخ ص١٦٥. الراوندي: راحة الصدور ص٢٢٠.

(٢) طقوش: تاريخ السلاجقة ص١٨٠.

(٣) خليل إبراهيم السامرائي: تاريخ الدولة العربية الإسلامية ص٢٤٩.



المكافئ في المنزلة لوالده ملكشاه، ومع ذلك فإنه ليس من العجيب أنه عندما بلغ الخامسة والعشرين من العمر كان قد استنفذ حياته، حيث إنه شن حملة أثر حملة دونما انقطاع، وكان غالباً مريضاً، وجرح في العديد من المرات من قبل رجال الاغتيالات، لم يكن قادراً إطلاقاً على إزاحة أخيه محمد من أذربيجان، وقد كان عليه أن يدافع عن قلب ممتلكاته، في فارس وإقليم الجبال بشكل مستمر في نفس الوقت الذي يحاول فيه الإبقاء على نفوذه في العراق".

ضعف أمر الوزارة والوزراء وانعكاسته الداخلية:

لعب الوزراء دورا مهما فى الحياة السياسية للدولة السلجوقية فى عهد السلطان "بركيارق" لاسيما حالة الأمن بها، وكل ما أصاب الدولة من ارتفاع أو انخفاض، سواء كان لهذا الدور أثره الطيب أو السيئ، والسلطان معهم إما فى قمة المجد والشموخ، أو فى حضيض الضعف والمهانة، تتسع دولته تارة، ثم نراها تنكمش على نفسها، محاولة منه الدفاع عن نفسه ضد الطامعين تارة أخرى، وأحيانا نرى دولته تنشر لواء التسامح والتفاهم مع الجماعات المتطرفة وبخاصة الفرقة الإسماعيلية(١) ثم نراها فى وقت آخر أشد ما تكون تعصبا لغير أهل شيعتها(١).

---

(١) الإسماعيلية: اسم لفرقة ظهرت في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وهي مزيج من فرق غالية معظمها من الشيعة وقد اتخذت هذه الفرقة أشكالا وأسماء عديدة وقد يطلق عليها أحيانا الباطنية، كما عرفوا أيضا باسم الملاحدة، وكان ظهور هذه الطائفة في بلاد المشرق الإسلامي من العوامل التي أدت إلى عدم استقرار الحياة السياسية هناك، خاصة منذ أواخر عهد السلطان ملكشاه، وطوال عهد السلطان "بركيارق" كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب =

والحق أن منصب الوزارة تأثر إلى حد كبير بالظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها الدولة السلجوقية، كما أثر التنازع على هذا المنصب على الأوضاع الداخلية لهذه الدولة، إذ شكل تنافس أبناء نظام الملك على منصب الوزارة في عهد السلطان بركيارق، وتنافس النظامية مع غيرهم من الطامعين؛ سبباً في انقسام السلاجقة وقيام النزاعات بين أبناء السلطان ملكشاه(٢).

فالحروب التي نشبت بين ابني ملكشاه السلطان بركيارق والسلطان محمود، عقب موت ملكشاه مباشرة، كانت نتيجة لتنافس نظام الملك وتاج الملك أبى الغنائم الشيرازي على وزارة ملكشاه، كما أن الحروب التي اندلعت بين بركيارق وأخيه محمد في المدة بين(٤٩٢-٤٩٨هـ/١٠٩٨-١١٠٤م) كانت بسبب تنافس أبناء نظام الملك، "مؤيد الملك"، و"فخر الملك"، و"عز الملك"، على منصب وزارة السلطان (٣). وقد عمد السلطان "بركيارق" إثر توليه

الإسلامية، ص٢٤٥.

(١) المشهور أن "بركيارق" كان علي العكس من أخية "محمد" الذي كان يكن للإسماعيلية كراهية عميقة، بينما كان بركيارق يعني بهم ويصادقهم ويعجب بحسن خلقهم وسيرتهم ويستخدم أتباعهم أمثال " كيا فخر أور الأسدابادي " الذي كان يبث دعوته بين الناس. وقد أمر الوزير الدهستاني (وزير بركيارق) بقتله هو وحشد من أنصاره دون إذن من السلطان.عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ص١٧٦، ترجمة د/ أحمد كمال الدين حلمي مطبوعات جامعة الكويت ١٩٨٤م.

(٢) ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٤.

(٣) محمد مسفر الزهراني: نظام الوزارة فى الدولة العباسية (٣٣٤-٥٩٠) العهدان البويهي والسلجوقى ص١٢٤، ١٢٥. مؤسسة الرسالة ، ط١ بيروت ١٩٨٠م.

السلطة إلى مكافأة النظامية على مساندتهم له فى اعتلاء العرش السلجوقي، فعيَّن "عز الملك" أبى عبد الله الحسين بن نظام الملك وزيراً له (١) ثم عزله بعد مدة وجيزة بسبب عدم كفاءته واستوزر بدلاً منه أخاه "مؤيد الملك" عبيد الله بن نظام الملك (٢).

وكان "فخر الملك" الابن الأكبر لنظام الملك، يتطلع أيضاً إلى اعتلاء منصب الوزارة، فراح يتقرب من السلطان، وحدث آنذاك أن أراد السلطان بركيارق إحضار والدته "زبيدة خاتون" من أصفهان إلى همذان، فأشار عليه "مؤيد الملك" بإبقائها في أصفهان، فرفض السلطان ذلك وقال:"لا أريد الملك إلا لها، وبوجودها عندي"، فلما وصلت إلى همذان نُمى إليها ذلك، فحقدت على مؤيد الملك، وأخذت تعمل على إقصائه من الوزارة، وساعدها كاتبها "أبو الفضل" مجد الملك البلاساني، الذي كان يطمع في الوصول إلى مكانة متقدمة ودرجة عالية من النفوذ في الدولة، ويخشى أن يقف مؤيد الملك في وجهه ويحول دون ذلك، فاستغل "فخر الملك" هذه الحادثة وطلب من السلطان ووالدته أن يتبوأ منصب الوزارة، وتعهد بدفع مبلغ كبير من المال لقاء ذلك، وسانده مجد الملك البلاساني، فأجيب إلى طلبه وعزل أخوه "مؤيد الملك" من

---

(١) عز الملك بن نظام الملك: يقول صاحب تاريخ دولة دولة آل سلجوق :"كان شرّيبا خمّيرا، لا يصيب رأيا ولا يحسن تدبيرا، بعيدا عن الكفاية، خليا من المعانى، معروفا بالقصور والعجز والتوانى. وكان السلطان "بركيارق" لما رأى اختلال نظام الدولة بعد وفاة نظام الملك، رأوا الاستعانة بأحد أبنائه لعله يكون مثله، فاستوزروه ووقروه. وكانت علامته (توقيعه) "أحمد الله وأشكره" .البندارى: ص٨٢.

(٢) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ص٧٧ . إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة ص١٦٨.

الوزارة وقبض عليه وسُجن، وخلفه "فخر الملك" وذلك في عام(٤٨٨هـ/١٠٩٥م)(١).

كانت سلطة فخر الملك اسمية فى حين كانت السلطة الفعلية في يد "مجد الملك البلاساني" الذي كان وزيراً لديوان الاستيفاء، كما كان وزيراً لزبيدة خاتون والدة السلطان، فاستطاع أن يبسط نفوذه على كل مرافق الدولة، وأن يتصرف بجميع مهامها، وكانت وزارة فخر الملك ألعوبة في يده (٢).

وعندما خرج "مؤيد الملك" من السجن لم يعمل على مناوأة أخيه فخر الملك، ولم يحاول أن يستعيد الوزارة من جديد، بل راح يتآمر ضد السلطان نفسه ويعمل على الانتقام منه ومن والدته "زبيدة خاتون"، فأخذ يتصل بأعدائه ومنافسيه، فسار في عام (٤٩٢هـ/١٠٩٩م) إلى الأمير "أُنر" حاكم بلاد الجبال، وأقنعه بالخروج على طاعة السلطان، وخوفه من "مجد الملك البلاساني" المهيمن على مقدرات الأمور(٣). وزين له الخروج بقوله: "إنك لست اقل من محمود بن تركان خاتون، وكان السلطان ملكشاه يعزّك أكثر من سائر أولاده، وكان يتخذك ولدا، ولك هيبة فى القلوب أكثر مما لسائر الأمراء، وكنت أكثرهم علما وفضلا، والرعية تحبك وتميل إليك، فتول العرش، فإنك متى انتصرت نصرا واحدا سلمت لك الدنيا بأسرها"(٤).

---

(١) الحسينى: زبدة التواريخ ص١٦٣. محمد مسفر الزهراني: نظام الوزارة ص١٢٥.

(٢) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ص٨٣، ٨٤.

(٣) خواندمير: دستور الوزراء ص٢٦٨. بروان: تاريخ الأدب في إيران ج٢ ص٣٧٧.

(٤) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢٣.

وأكبر الظن أن الأمير "أنر" أراد أن ينتفع من دهاء ومكر "مؤيد الملك" فأراد اصطناعه، لاسيما وأنه كان يعمل وزيرا للسلطان "بركيارق" من قبل.

وزحف "أُنر" على رأس جيش كبير إلى الري طالبا من السلطان "بركيارق" تسليمه مجد الملك البلاساني، فرفض الأخير طلبه، وتهيأ للخروج لمحاربته، لكن اغتيل "أُنر" على أيدى الإسماعيلية، فاستقر رأي "مؤيد الملك" على الانضمام إلى صفوف "محمد بن ملكشاه"، الذى كان والياً على إقليم أذربيجان، فاجتمع به وزين له أن يطلب السلطنة لنفسه وينتزعها من يد أخيه السلطان بركيارق، فاستجاب لإغرائه واتخذه وزيراً ليضمن تأييد أسرة نظام الملك له، فقطع الخطبة للسلطان من بلاد "أرّان" وأعمالها، وأقام الخطبة لنفسه، ثم تحرك فى عام (٤٩٢هـ/١٠٩٩م) على رأس جيش كبير قاصداً همذان والري، بصحبة وزيره مؤيد الملك(١).

أدرك السلطان "بركيارق" أنه لن يستطيع التصدى لقوات أخيه محمد، فخرج من الري إلى أصفهان ومنها إلى خوزستان، وانتشرت الفتنة بين جنوده، وكان أغلبهم يميل إلى أسرة "نظام الملك" ويكرهون مجد الملك البلاساني، ولم يلبثوا أن طالبوه بقتل وزيره، لكنه رفض طلبهم، فما كان منهم إلا أن هجموا على خيمة مجد الملك البلاساني وقتلوه، وعندما علم عز الملك منصور بن نظام الملك بمقتل الوزير مجد الملك البلاساني انضم إلى صفوف السلطان وهو يطمع في أن يسترد منصب الوزارة(٢).

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص١٠٩.ابن النظام : العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص١١٢. محمد مسفر الزهراني: نظام الوزارة =

ودخل محمد مدينة الري، وكانت زبيدة خاتون، والدة السلطان بركيارق، قد تخلفت فيها، فقبض عليها الوزير "مؤيد الملك" وقتلها، انتقاماً لدورها في عزله من الوزارة عام (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) وكانت فى الثالثة والأربعين من عمرها(١).

والغريب أن مؤيد الملك نفسه وقع أسيراً في أحدى المعارك التى دارت بين السلطان بركيارق وبين أخيه محمد، في عام (٤٩٤هـ/١١٠١م)(٢).

والعجيب أن الطمع لم يفارق مؤيد الملك حتى عندما كان فى سجن السلطان بركيارق، حيث أخذ يراسله من السجن عارضا عليه أن يعفو عنه ويوليه الوزارة مقابل مبلغ مائة ألف دينار، فوافق السلطان على طلبه، واستطاع الوزير أن يوفر المبلغ خلال أسبوع لكن السلطان بركيارق عدل عن اتخاذه وزيرا بسبب المشكلات التي أثارها ، فغضب عليه وقتله(٣).

بركيارق والإسماعيلية:

لم تكن حركات التمرد بزعامة أمراء الأسرة السلجوقية وحدها التى أقضت مضاجع السلطان "بركيارق" وسببت له متاعب كثيرة، بل اشتعلت بجانبها حركات أخرى، زيف بعضها

ص١٢٤.

(١) خواندمير: دستور الوزراء ص٢٦٩. بروان: تاريخ الأدب في إيران ج٢ ص٣٧٧.

(٢) الحسينى: زبدة التواريخ ص١٦٣. بروان: تاريخ الأدب في إيران ج٢ ص٣٧٧.

(٣) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢٧، ٢٢٨. ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص٨٨. ابن النظام : العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٩.





لنفسه شعارا علويا حتى يجمع العامة فى صفوفه وتحت لوائه، وهى حركة الشيعة (١) الإسماعيلية(٢).

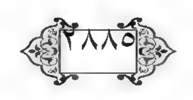
ويبدو أن الإسماعيليين لما رأوا أن مذهبهم الشيعى يخالف مذهب جمهور أهل السنة والجماعة، وأنهم فى حاجة إلى الدعوة وكسب المؤيدين للوقوف فى وجه علماء السنة لاسيما فى العراق والمشرق؛ اضطروا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين إلى التركيز علي العمل الفكري بدل المغامرة بتنظيمات سياسية ستتعرض للملاحقة والأذى لا محالة(٣)، وكان

---

(١) الشيعة في اللغة هم الأهل والأتباع والأنصار، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في سورة القصص آية "١٥" في قوله تعالي: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هذَا مِن شِيعَتِه وَهذَا مِنْ عَدُوِّه}. ويطلق هذا اللفظ في عرف الفقهاء والمتكلمين علي أتباع علي بن أبي طالب وبنيه. ولم يكن التشيع وليد العصر البويهي أو الذى قبله، وإنما كان نتيجة ظروف وملابسات عقائدية وسياسية حدثت عقب وفاة الرسولﷺ، بعد أن شاعت فكرة إمامة "علي بن أبى طالب" وأبنائه من فاطمة، وعلقت فى نفوس البعض على مر القرون . البغدادي: الفرق بين الفرق ص٦٢ ، تحقيق: عثمان الخشب مكتبة ابن سينا القاهرة ١٩٨٨م.

(٢) محمد عثمان الخشب: حركة الحشاشين ص٤٩،٥٠.

(٣) كان لنشاط داعي الدعاة الفاطمي "المؤيد لدين الله هبة الله الشيرازي" ذي الشخصية المتعددة الجوانب ، أكبر الأثر في انتعاش الدعوة الإسماعيلية في إيران والعراق ، فقد اتسعت علي يديه دائرة المستجيبين للمذهب الإسماعيلي ، حتى إنه نجح في إقناع الأمير البويهي "أبي كاليجار" بالدخول في مذهبه. ولكن ما لبث أن تغير عليه أبو كاليجار، وأخذت مكانته تهبط حتى أحس أن حياته في خطر، وأيقن أن بقائه في شيراز غير محمود العاقبة، وظل متخفيا إلى أن فر إلى القاهرة =



أصحاب هذا الترويج ثلاثة فلاسفة إسماعيلين عاشوا خلال تلك لفترة هم: "أبو عبد الله بن أحمد النسفي" المتوفي سنة (٣٢١هـ/٩٣٣م) والذي كان تلميذا لأحد كبار الدعاة الإسماعيليين الأوائل في خراسان هو الأمير"الحسين بن علي المروروزي" الذى كان له نفوذ كبير في المنطقة، فاستطاع استمالة كثير من الشخصيات السياسية والعلمية إلي المذهب الإسماعيلي(١).

والثاني هو يعقوب بن أحمد السجستاني المتوفى سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) والثالث هو أبو حاتم الرازي الفليسوف الإسماعيلي المتوفى سنة (٣٢٢هـ/٩٣٣م) الذى كان من الأوائل الذين وضحوا الأسس النظرية للعقيدة الإسماعيلية، وكان لهؤلاء الثلاثة دور كبير في إذاعة المذهب الإسماعيلي في العالم الإسلامي(٢) .

سنة (٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) حيث إمامه المستنصر الفاطمي. ابن الأثير:الكامل فى التاريخ ، ح ٨ ص٨٣ ، دار الكتب العلمية ط٣، بيروت، ١٩٨٨م .عبد المجيد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتي سقوط بغداد ص١٢٨. محمد جمال الدين : دولة الإسماعيلية في إيران ص٩٠ .

(١) محمد أمان صافى: أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ص٤٣٩، المكتبة السلفية، القاهرة ١٩٨٨م.. .

(٢) محمد عثمان الخشب: حركة الحشاشين ص٥٠ .





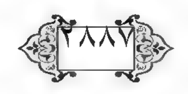
ويؤكد الفيلسوف والداعية الشيعي "ناصر خسرو"(١) على أهمية نشر الدعوة فى بلاد غير شيعية بقوله:"إن الخليفة عليه أن يقاتل الكفرة بحد السيف وأن يقاتل المنشقين من المسلمين بالدعوة".

والواقع أن القرن الرابع الهجري (١٠م) شهد سيطرة الفكر الشيعي المتنازع على السلطة فوق أرض تقوم عليها سلطة الخلافة العباسية المتهاوية(٢).

---

(١) سفرنامة: ص٨٦، ترجمة : د/ يحيي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

(٢) ركز دعاة الإسماعيلية جهودهم في الدعوة علي المناطق المصطبغة بالصبغة الشيعية ، ولم تكن هذه الميزة الوحيدة التي ميزت الدعوة الإسماعيلية في إيران في ذلك الوقت المبكر، بل إن تلك الدعوة في تلك المناطق قد اتجهت اتجاها مخالفاً للدعوة في المناطق الأخرى من العالم الإسلامي . إذ بينما كان الدعاة في البحرين واليمن وشمال أفريقيا يهدفون إلى كسب ركيزة شعبية من بين أبناء الطوائف الكادحة ليستعينوا بها في القضاء علي النظم القائمة نجد أن الدعوة في إيران تتجه بصفة خاصة إلى الطبقات الحاكمة، ونري الدعاة يعولون في المقام الأول علي دعوة أفرادها ويحدثنا المؤرخون أن مجد الدولة البويهي مثلاً كان باطنيا، كما انضم الى الدعوة أمير الري "أحمد بن علي وحسن بن علي المروزي"، حتي رغب هذا الأخير أن تعم الدعوة الإسماعيلية بلاد ما وراء النهر، كما نجحت في ضم الأمير "نصر بن أحمد الساماني" الى صفوفها. ونتيجة لذلك بدأ دعاة الإسماعيلية يشعرون بقدرمن الحرية في مواصلة نشاطهم، فوجدنا الرحالة الفارسي "ناصر خسرو" و"هبة الله الشيرازي" يعودون إلي المنطقة ليتولوا تصريف شئون الدعوة الإسماعيلية في إيران، مما كان له أكبر الأثر في انتعاش الدعوة في =



وسارت الحوادث بشكل ينبئ بزوال العباسيين وغلبة الإسماعيليين والشيعة عموما، وسيطرتها على أكثر الأقاليم الإسلامية، وكاد ذلك يتحقق لولا ظهور السلاجقة السنة وسيطرتهم على إيران والعراق، وفوتوا على الإسماعيلية فرصة تحقيق حلمهم بالسيطرة على العالم الإسلامي(١).

وحين ظهر السلاجقة كان المذهب السني مضيقا عليه، سواء في داخل الدولة العباسية أو في خارجها، ففي الداخل كان يسيطر على الحكم "بنو بويه" الشيعة، الذين ظلوا جاثمين على صدر الخلافة العباسية ما يزيد على قرن من الزمان، أما في الخارج فكانت مصر والشام والحجاز والمغرب واليمن يحكمها الفاطميون، الذين لم يكتفوا باتخاذ التشيع مذهبا رسميا داخل دولتهم بل عملوا على بث دعاتهم في سائر أنحاء الدولة العباسية، لاسيما العراق والمشرق الإسلامي من أجل القضاء على دولة الخلافة (٢).

وكان الأتراك السلاجقة متحمسين للمذهب السني، وتصدوا للدفاع عنه خاصة، وعن الإسلام عامة، وعملوا على تحقيق ذلك بشتى الوسائل، سواء بالقوة العسكرية، أو بالتعليم ونشر المعرفة، وذلك لإضعاف المذهب الشيعي، فقاموا بحركة مضادة لإفشال دعوتهم، فكانت معركة سلاحها الحجة والإقناع، وغزارة العلم، ومقارعة الفكر بالفكر(٣).

إيران. محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعيلية في إيران ص٧٩.

(١) حلمي: السلاجقة ص١٧٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٤ .

(٣) لم يتوان السلاجقة عن مجاهدة الإسماعيلية، فقد حاول "ألب أرسلان" فتح الشام وانتزاعها من يد الفاطميين، كما تمكن أحد أمرائه ويدعى "أتسز التركماني" من =





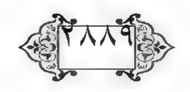
وكـان الإسـماعيليون يتوقعـون ذلـك فعجلـوا بتوجيـه الضـربات القاضـية للخلافة العباسية . قبل أن ينضم إليها السلاجقة فيختل ميزان القوى . وقد أفلـح دعـاتهم فـى استمالة أحد الأتـراك السـاعيين إلـى السلطة فـى بغـداد ويـدعى "البساسيرى"(١) الذى دخل بغداد وخطب للفاطميين على منـابر بغداد لصالح الفاطميين لمدة عام (٢).

غيـر أنـه لـم يكـد تمضـى سـنة حتـى قتـل البساسـيرى، وعـادت الخطبـة للعباسيين، فأدبر أمر الفاطميين، ولجأوا للدفاع عن الدولـة وعن المذهب بدلا من الهجوم.

الاستيلاء على بيت المقدس وعلى الرملة وما جاورها سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) . كما كـان "ألب أرسلان" كما يذكر المؤرخون يقسو علـى الباطنية بصورة ظاهرة، حتـى إنـه أمـر أتباعـه وجنـده باتخـاذ الشـدة ضـدهم. الحسـينى: زبـدة التـواريخ ص٨٢. حلمى: السلاجقة ص١٧٧. عبد النعيم حسنين: السلاجقة ص١٥، ١٦.

(١) البساسـيري: أبـو الحـارث أرسـلان بـن عبـد الله البساسـيري التركـي مقدم الأتـراك ببغداد كان مملوكا لبهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه . خرج علي الخليفة القائم بـأمر الله العباسـي سـنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) وكـان قد قدمـه علـي جميـع الأتـراك ، وقلـده الأمـور بأسرهـا ، وخطـب لـه علـي منـابر العـراق وخوزسـتان وعظـم أمـره وهـابته الملـوك ، ثـم خـرج علـي الخليفـة القـائم وأخرجـه مـن بغـداد ، وخطـب للمستنصـر الفـاطمي صـاحب مصـر لمـدة عـام كامـل علـي منـابر بغـداد، قبـل أن يقضـي عليه السلطان طغرل بك السلجوقي سنة (٤٥١هـ /١٠٥٩م) ويأمر بقتلـه. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص١٩٢، الذهبي : العبر في خبر من غبر ج٣ ص٢٢٥ تحقيق فؤاد السيد دائرة المطبوعات والنشر الكويت١٩٦١م.

(٢) ابن ميسر: أخبار مصر ص١٠. ابن الجوزي: المنتظم ج٨ ص١٦٢.





انتهزت فرقة الإسماعيلية فرصة الاضطرابات التي حدثت بعد وفاة السلطان ملكشاه، والصراع الذي نشب بين أبناء البيت السلجوقي، فعادوا لمسرح الأحداث من جديد عن طريق التوسع والاستيلاء على مزيد من الأماكن الحصينة، والتسلل إلي بلاد السلاجقة وإلى جيوشهم.

وكان جيش السلطان "بركيارق" أحد الجيوش السلجوقية التي كثر المقاتلون الباطنية في صفوفه، ويبدو أن هذا السلطان لم يشأ أن يصطدم بهم بسبب انهماكه في الصراع الدائر بين أفراد البيت السلجوقى من جهة، ولأنه أراد الاستفادة من قوتهم في هذا الصراع من جهة أخرى، حتى أتهم بأنه يميل إليهم ويوافق على ما يقومون به من اغتيال الأمراء والأعيان(١).

واخذ دعاة الإسماعيلية ينشرون الدعوة الإسماعيلية بين الجند، ويهددون من يرفض الدخول في مذهبهم، فخشي هؤلاء على أنفسهم من القتل واحتاطوا بلبس درع تحت ثيابهم، وأشاروا على السلطان بركيارق أن يفتك بهم قبل أن يستفحل خطرهم فيعجز عن القضاة عليهم(٢).

كان السبب الرئيسي الذي أعطي الفرصة القوية للحركة الإسماعيلية أن توسع نشاطها، هو انشغال السلطان "بركيارق" بالخلاف بينه وبين أخيه محمد، لاسيما أن بركيارق غض الطرف عن ممارسات الإسماعليين ومزاولة نشاطهم، لاسيما وأنهم يقومون باغتيال كبار الشخصيات المنتمية للجبهة المعارضة له(٣). ومن يطلع على قائمة الاغتيالات التي قام الإسماعيلية بها،

---

(١) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة ص١٧٦، ١٧٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل ح ٩ ص٣٠. بروان: تاريخ الأدب في إيران ج٢ ص٣٩٠.

(٣)عبد النعيم حسنين: السلاجقة ص١٨، ١٩.







يجدها تضم كبار شخصيات الدولة أمثال: شحنة أصفهان (رئيس الشرطة)"سرمز" و"أرغش"و"كمش"(١).

ويرى البعض(٢)أن السياسة الخرقاء التى اتبعها بركيارق فى ممالأة الإسماعيلية هى التى أساءت إليه، وجعلت أنصاره ينفضون من حوله، لاسيما "النظامية" أنصاره الحقيقيون الذين خلّصوه من أسر "تركان خاتون" وساعدوه إلى الوصول إلى العرش، حيث استغل محمد الوضع فى الدعاية ضده، فكان جنده يكبرون على جند بركيارق فى المعارك بقولهم: "يا باطنية"(٣).

ومما زاد الطين بلة أن وزيره "مؤيد الملك" بعد أن طرده نجح فى تأليب محمد عليه وشجعه على محاربته، وانضم كثير من جنده إلى جيش محمد(٤).

وبعد انتصار بركيارق علي أخيه محمد سنة (٤٩٣ هـ/١١٠٠م) وقتل وزيره "مؤيد الملك" زاد نشاط الحركة، حتى إن أعضاءها كانوا يدعون الجنود لمذهبهم، وبالفعل استطاعوا اجتذاب عدد كبير منهم، وكانوا يهددون مخالفيهم بالاغتيال، حتى لا يتجاسر أحد من الجماهير أو الأمراء بالخروج من منزله دون أن يلبس تحت ثيابه درعا (٥) إذ كان الوزير "الأغر أبا المحاسن" يلبس تحت ثيابه درعا.

---

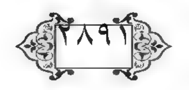
(١) ابن الجوزي: المنتظم ح ٩ ص١١٤ .

(٢) حلمى: السلاجقة ص١٨٠.

(٣) ابن خلدون:العبر ح ٥ ص٥٦ . دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٠م.

(٤) حلمى: السلاجقة ص١٨٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل ح ٩ ص٣٠ . ابن خلدون : العبر ح ٥ ص٥٧.



ويقال إن السلطان بركيارق سمح لكبار رجال دولته وخواصه بالدخول عليه مسلحين خوفا من هجمات الإسماعيليين(١).

ولم يكتف زعماء الإسماعيلية بتصفية الأمراء البارزين في الدولة السلجوقية، بل خططوا للقضاء علي السلاطين أنفسهم، حتى إنهم هموا بقتل السلطان "بركيارق" سنة (٤٨٨ هـ/١٠٩٥م) ولكنهم لم يظفروا به، ونجا بأعجوبة، بعد أن جرح في عضده، وتبين أن القاتلين من أهل سجستان(٢).

ولما استشعر السلطان بركيارق خطرهم وأنهم يهددون أمن واستقرار دولته أمر آخاه "سنجر" بان يبيح للناس قتل الإسماعيلية أينما وجدوهم، فهب الناس لقتلهم(٣).

ويذكر ابن الأثير أن بركيارق أعمل القتل في رقابهم كلما استطاع إلى ذلك سبيلا (٤) وأذن بالفتك بهم، وكتب إلى بغداد بالقبض علي"أبي إبراهيم الأسد أبادي" وكان من أعيانهم ورؤوسهم فقتل وألقي خارج السور، ولم يصل عليه أحد(٥).

---

(١) ابن الأثير: المرجع السابق ح ٩ ص٤٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٧٨.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ح ٩ ص٨٦، ٨٧. ابن النظام: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٧. وسجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة ، واسم مدينتها "زرنج "وهي قريبة من هراة .معجم البلدان: ج ٣ ص١٩٠.

(٣) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢٠، ٢٢١. ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص١٢٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل ح ٩ ص٤٢ .

(٥) ابن الأثير: المرجع السابق ح ٩ ص٤٢.





ويذكر البعض(١) أنه لما زاد السخط علي "بركيارق" من التيارات المعارضة لحركة الإسماعيلية، لما كان يبديه من تسامح تجاه نشاط الحركة، وغض الطرف عن تحركاتها، عقد اتفاقا مع "سنجر" حاكم خراسان، وعدة من حكام الولايات الإيرانية بما فيهم مناوئه السلطان محمد، علي ضرورة القضاء علي الإسماعيلية في جميع أرجاء إيران(٢)، فأمر بركيارق بقتل، جميع أعضاء الحركة ، حتى انه قاد حملة بنفسه، حتى كاد أن يقتل(٣).

وكان يقتل كل من تحوم حوله الشبهات ، حتى قتل كثير من الأبرياء الذين سعي بهم أعداؤهم ظلما وعدوانا (٤).

وكان ممن أتهم باعتناق العقيدة الإسماعيلية الفقيه الشافعي "الكيا الهراس"(٥)الذي كان يدرس بالمدرسة النظامية ،وعندما نقل هذا الاتهام إلى إلى السلطان محمد أمر بالقبض عليه، فأرسل الخليفة "المستظهر بالله"

---

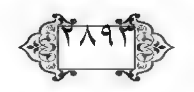
(١) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ص١٧٦ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ح ٩ ص٤٢ .

(٣) ميرخوندا: روضة الصفا ص٢٤٤ ، ٢٤٥.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ح ٩ ص١٢٢ .

(٥) الكيا الهراس: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الملقب عماد الدين الفقيه الشافعي من أهل طبرستان، كان فصيح العبارة حلو الكلام، والكيا في اللغة الفارسية القديمة هو "الكبير القدر" توفي سنة (٥٠٤ هـ/١١١٠م). ابن الجوزي: المنتظم ح ٩ ص١٦٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان ح ٣ ص٨٦. السبكي: طبقات الشافعية ح ٤ ص٢٨١ .



العباسي من يستخلصه، فشهد الرسول له بصحة الاعتقاد، وعلو الدرجة من العلم ، فأطلق سراحه(١).

وقد شملت عملية القضاء علي معتنقي العقيدة الإسماعيلية رجال السلطان نفسه، ومن أمر بقتله منهم أحد رجاله البارزين، "أبي إبراهيم الأسد أبادي"، كان بركيارق أرسله إلى بغداد ليأخذ مال "مؤيد الملك" فأرسل بركيارق خلفه من قبض عليه وقتله، وعندما قبضوا عليه وأرادوا قتله قال لهم: "هبوا أنكم قتلتموني أتقدرون علي من بالقلاع والمدن ؟ " فقتلوه(٢).

وممن شملهم القتل أيضا الأمير "محمد بن شمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه" صاحب يزد(٣).

ومن الأمراء الذين نشطوا للقضاء علي أعضاء الحركة الأمير"جاولي سقاووا" الذي كان يحكم المناطق التي بين "رامهر مز"(٤) و"أرجان"(٥) الذى ضاق ذرعا بعمليات الاغتيال، وأخذ الأموال التي كان يقوم بها الإسماعيليون المستقرون بالقلاع الموجودة بـ "خوزستان" و"فارس"(٦).

و"فارس"(٦).

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ح ٩ ص١٦٧ . ابن الأثير: الكامل ح ٩ ص٤٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ح ٩ ص٤٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل ح ٩ ص٤٢.

(٤) رامهر مز: مدينة مشهرة بنواحي خوزستان ياقوت: معجم البلدان ح ٣ ص١٧.

(٥) أرجان: مدينة مشهورة بأرمن فارس القزويني: آثار البلاد ص١٤١ .

(٦) ابن الجوزي: المنتظم ح ٩ ص١٢٢. ابن الأثير: الكامل ح ٩ ص٤١.عباس إقبال: إيران بعد الإسلام ص٢٧٤ .

وأذن السلطان في قتلهم وتتبعهم في الآفاق، فقتل ثلاثمائة منهم عام (٤٩٤هـ/١٠١١م) وسرعان ما لاحقهم أمراء الأقاليم، فقتل جاولي سقاوة ما يقارب الثلاثمائة منهم في منطقة خوزستان(١).

وأرسل السلطان إلي الخليفة العباسي يشير عليه بملاحقة الموجودين منهم في عاصمته، فأمر بالقبض على قوم وقتلهم، كان من بينهم الأمير "محمد بن دشمنزيار" بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه صاحب يزد، و"أبو إبراهيم الأسد أبادي" الذي كانا قد وصلا إلى بغداد رسولا من بركيارق ليأخذ مال "مؤيد الملك" وكان من أعيانهم، ولم يجرؤ أحد أن يشفع بهم لئلا يتهم بالميل إلى مذهبهم(٢).

وطارد السلطان سنجر الإسماعيلية في خراسان في عام (٤٩٧/١١٠٤م) فقتل أعدادا منهم وحاصرهم في قلعة "طبس"(٣) وغيرها من القلاع والقرى المجاورة، ومع ذلك فقد أشار عليه أعوانه بأن يؤمنهم مقابل ألا يبنوا حصنا ولا يشترون سلاحا، ولا يدعون أحدا إلى مذهبهم ويبدو أنه عجز عن القضاء عليهم فاستجاب لمشورة أعوانه، وقد تعرض للنقد من جانب من نالهم أذى منهم، فنقموا عليه(٤).

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ح ٩ ص١٢٠.

(٢) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ص١٧٨.

(٣) طبس:مدينة بين نيسابور وأصفهان وكرمان. ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص٢٠.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم: ج٩، ص١٠٨.

ومن المحقق أن الإسماعيليين لم يحترموا بنود الصلح، فأغاروا في العام التالي علي نواحي "بيهق"(١) وأكثروا القتل والنهب والسبي(٢).

ويعد هذا العام نهاية المرحلة التي قاوم السلاجقة فيها نفوذ الإسماعيلية، في ظل الصراع الداخلي على السلطة، واستغلال الإسماعيلية هذا الصراع للتغلغل في صفوف السلاجقة والتسلل إلى المراكز المهمة في دوائر الدولة .

---

(١) بيهق: كورة واسعة من نواحى نيسابور، تشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية. ياقوت: معجم البلدان ج١ ص٥٣٧.

(٢) ميرخوندا: روضة الصفا ص٢٤٧.

السلاجقة والتصدي للزحف الصليبي(١):

في وسط تلك الحالة من الضعف والتشتت، واندلاع الصراع بين أفراد البيت السلجوقي لاسيما بعد وفاة ملكشاه، واستحكام العداوة والبغضاء بين عباسي بغداد وفاطميي القاهرة، داهمت جحافل الجيوش الصليبية المنطقة العربية الإسلامية من أنطاكية إلى شواطئ مصر، حيث لم تلق مقاومة تذكر لأن المسلمين كانوا غارقين في صراعاتهم الداخلية والمذهبية، حتى سقط بيت المقدس في أيد الصليبيين سنة(٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م)(٢).

وحين سقط بيت المقدس جاء وفد إسلامي إلى بغداد طالبا عون الحكومة المركزية ولكنه لم يتلق سوى العواطف من الخليفة، والدموع من الشعب المتألم، في حين لم يكن لدى السلطان بركيارق السلجوقي أي شيء يقدمه، لأنه كان مشغولا بالصراع على كرسي السلطنة (٣).

---

(١) بدأت الحروب الصليبية فى أواخر القرن الخامس الهجرى (١١م) وتمكنت حملتهم الأولى أو ما يعرف بحملة الأمراء بقيادة "بلدوين البولونى"" من هزيمة جيوش السلاجقة والاستيلاء على مدينة "الرها" وتكوين دولتهم الأولى بها، وتولى هو عرشها بنفسه، ثم توغلت مجموعة أخرى منهم بقيادة "بوهيموند" فاستولت على "أنطاكية" وأسست بها الإمارة الثانية، بينما واصل "ريموند" تقدمة ناحية "بيت المقدس" فاستولى علي القدس، وأعمل فى سكانها السيف، وارتكب هو وجنوده فظائع من قتل وتشريد مما كان له أعمق الأثر فى نفوس المسلمين والعرب. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ج ١ص٦٧.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ج٩، ص١٠٨.

(٣) من المعروف أن المؤرخين المسلمين الذين عاصروا الغزو الصليبي للعالم =

ويمكن القول إن الحروب الصليبية في حقيقة أمرها ما هى إلا استمرار للصراع الطويل الذي قام منذ العصور القديمة بين الشرق والغرب، واتخذ في كل عصر شكلاً معيناً يتلاءم مع مقتضيات الظروف وإن اتحد في الهدف والغاية.

وثمة ظاهرة ملفته هي أن السلاجقة العظام بقيادة السلطان "بركيارق" وأتابكتهم في الموصل، وسلاجقة الشام، أحجموا عن التحرك في تلك المرحلة لمساعدة إخوانهم سلاجقة الروم ضد الصليبيين، كما لم يحاولوا الحد من توسعهم في شمالي بلاد الشام والعراق، ولا الاستفادة من الوضع السيئ الذي باتوا فيه عقب وقوع بوهيموند في الأسر، لتحويل مسار الحركة الصليبية في الشرق الإسلامي وطرد الصليبيين من ربوعه، على الرغم من أن السلاجقة العظام كانوا يشكلون القوة الإسلامية الرئيسة في العالم الإسلامي السني آنذاك(١).

لقد وقف السلاجقة العظام يشاهدون زحف جموع الصليبيين إلى بلاد الشام عبر آسيا الصغرى من دون أن يتحركوا للتصدي لهم، وارتضوا بأن تقوم

الإسلامي وكتبوا عنه أمثال: ابن القلانسي وابن الأثير وابن العديم و والبنداري وغيرهم لم يستخدموا أبدًا في كتابتهم مصطلح «الصليبين» أو «الحملة الصليبية» أو «الحرب الصليبية» وإنما تكلموا عن الصليبيين بعبارات مثل «حركة الإفرنج» كما وصفوهم بكلمة «الإفرنج». أو «الفرنجة»، قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية ص١٤ سلسلة عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٠ م.

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ج٩، ص١٠٨.

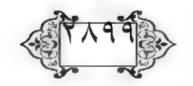



القوى التركية القوية أو الضعيفة المبعثرة بمحاريتهم، كما لم يشاركوا في الجهاد للقضاء على الإمارات الصليبية الشمالية التي هددت سلامة الخلافة العباسية في بغداد .

الواقع أن انشقاق السلاجقة العظام، وانقسام صفوفهم، والنزاع الداخلي بين زعمائهم وقادتهم، هو السبب الذي أدى بهم إلى هذا التصرف، إذ ترافق انتصار الصليبيين من انحلال السلطة المركزية، وضعف سيطرة السلطان بركيارق على مختلف حكام الأقاليم، كما اشتد النزاع بين أمراء السلاجقة وبين قادتهم، ما زاد في ضعف قوتهم، وتعذر عليهم بالتالي القيام بأي عمل ضد الصليبيين في أسيا الصغرى وفي شمالي بلاد الشام، ولعل أبرز النزاعات الداخلية المسلحة، النزاع الذي نشب بين السلطان بركيارق وبين أخيه السلطان محمد، والقتال الذي جرى بين القادة العسكريين وولاة الأمور حول حكم الموصل، عقب وفاة حاكمها كربوغا في(٤٩٥هـ/١١٠٢م)، فتأثرت سائر الأقاليم التابعة للدولة السلجوقية بهذه الأحداث، وعم الفساد، وانتهبت الأموال، وأحرقت القرى، وتداعت الحكومة المركزية في حين علا شأن أمراء الأطراف.

ولا تقل الخصومات، التي نشبت بين أفراد البيت السلجوقي في بلاد الشام، حدة عن الانقسامات بين أفراد البيت السلجوقي في خراسان وإيران، فانقسمت بلاد الشام نتيجة ذلك إلى قسمين : فحكم "رضوان بن تتش" حلب في حين حكم أخوه "دقاق" دمشق .

وشغل الأخوان بالنزاعات الأسرية، فكل واحد يتربص بالآخر وينوي السيطرة على أملاكه، فتبادلا الحرب الدامية، فهاجم رضوان دمشق أكثر من مرة، وبادله دقاق بمهاجمة حلب إلا أنه فشل في دخولها، كما راودت كلا الأخوين أحلام التوسع الإقليمي على حساب جيرانه . فقد أراد رضوان السيطرة





على منطقة شمالي بلاد الشام على حساب الأراتقة، ومما زاد في حدة الانقسامات، والتفتت الداخلي، النزاعات التي نشبت بين أمراء الأطراف



أهم المظاهر الحضارية فى عهد بركيارق

أولاً ـ النظام السياسي والإداري:

أ ـ السلطان السلجوقي:

عقب قيام الدولة السلجوقية سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) اجتمع قادة السلاجقة بقيادة الأخوان "طغرل بك"و"جغري بك" مع عمهما "موسى بن سلجوق"، ومع أبناء أعمامهم وكبار قومهم وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم . ثم التفت طغرل بك لأخيه وقال: "إذا نشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم، وتغلّب علينا الأعداء وذهب الملك من أيدينا"(١).

وهكذا حاول قادة السلاجقة إحكام سيطرتهم على مختلف الأقاليم، والتصدى لمناوئيهم، والتحكم فى أى خلاف ينشأ بينهم، ولكن الصورة كانت على العكس من ذلك تماما، وأفرزت معطيات جديدة بدأت بعد ذهاب عصر السلاجقة العظام.

---

(١) بعد النصر الذي حققه قادة السلاجقة باستيلائهم على منطقة خراسان، رأى السلطان "طغرل بك" كي يضمن قيام الوحدة والترابط بين أفراد البيت السلجوقي أن يستعين بهم في حكم البلاد تحت سلطانه، فقسم البلاد فيما بينهم وعين كل واحد منهم حاكما على إقليم وسيره إليه، وأعطى له الحق بفتح وضم ما يشاء من البلاد المجاورة لمملكته، بحيث لا يتعدى على ممتلكات الآخر. الراوندى: راحة الصدور ص١٦٥.الحسيني: زبدة التواريخ ص٧٣، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٢٣٧ .

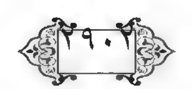


ويكمن الخلاف فى أن ولاية العرش فى الدولة السلجوقية لم تخضع لنظام ثابت، بل كان أكبر الأبناء، أو أبرزهم، وأقدرهم، على الدفاع عن عرشه، هو الذى يتولى الحكم دون سواه (١)، وبدا ذلك واضحا بعد وفاة السلطان ملكشاه، فقد اعتلى محمود السلطنة . بالرغم من صغر سنه . بمساعدة أمه التى شكلت جناحا مهما فى الدولة(٢).

---

(١) بعد ما إن جلس السلطان "ألب أرسلان" على عرش السلاجقة حتى خرج عليه عمه "قتلمس بن إسرائيل" وأعلن أنه أحق بالسلطنة فخرج إليه في جيش كبير والتحم معه في معركة حامية انجلت عن هزيمة قتلمس ومصرعه. غير أن ألب أرسلان فوجئ بفتنة أخرى يقودها عمه "بيغو" الذي كان واليا على "هراة" ، والذي عز عليه أن يكون تابعا لابن أخيه ولكن ألب أرسلان قضى على فتنته ورده إلى الطاعة. و بعد تولى ملكشاه عرش السلطنة بدأت مشكلة الأحقية بالعرش تظهر من جديد، فإن" قاورد بك" . عم السلطان ملكشاه الذي كان واليا على كرمان وفارس من قبل أخيه ألب أرسلان . ما إن علم بوفاة ألب أرسلان حتى أعلن التمرد وادعى أحقيته بعرش السلاجقة. وترك كرمان وتوجه إلى الرى لتحقيق مآربه. غير أن ملكشاه استطاع أن يسبقه في الوصول إلى هذه المدينة وقطع عليه الطريق. ودار بينهما قتال عنيف بالقرب من همذان انتهى بانتصار ملكشاه وأسر عمه قاورد. فأمر بقتله كي يتخلص من شره، فخشيه كل أفراد البيت السلجوقي، ولم يخرج عليه أحدهم. فاستتب الأمن وعم الهدوء أرجاء السلطنة السلجوقية . العماد الأصفهاني، آل سلجوق، ص٣٠. الحسيني: الزبدة، ص٧٩. ابن العماد: شذرات الذهب ج٣، ص٣٠١. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٨٩-٩٠.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة ص٢٠٩.



ولكن أثبتت المعطيات التاريخية أن السلطنة خضعت لأقوى الأمراء نفوذا، والذى مثلهم "بركيارق بن ملكشاه" بعد تغلبه على منافسيه، والذى استحق لقب "ركن الدين"سلطان الدولة السلجوقية(١)، حيث كانت له السيادة العليا على سائر الأقاليم(٢).

والواقع أن السلطان"بركيارق" خلال فترة حكمه، كان عرضة للكيد من الأمراء والوزراء، بل من نساء القصر كذلك، كما كان أمراء الأسرة الحاكمة يمكرون بإخوانهم وأبناء أخوانهم، فى حين كان الخليفة مضطرا أن يصانع أولئك وهؤلاء، وهذا دليل على أن شهوة الحكم لا ترعى للسلطان ذرة من حساب.

واللافت أن الثورات التى قامت فى وجه "بركيارق" من أمراء الأسرة السلجوقية يؤكد أن رؤساء القبائل ورجالها لم يستطيعوا أن يتقبلوا ذلك التحول الذى وقع لقادة السلاجقة وارتفاعهم من رؤساء قبائل بدوية مثلهم، إلى حكام مسموعى الكلمة، مطلقى السلطة، ومع ذلك كل مرة استطاع فيها "بركيارق" أن يخمد ثورة ويتعامل مع محركها باللين وحسن المعاملة تارة، وبالشدة والبتر تارة أخرى، كانت كل مرة تخمد فيها ثورة، تشتعل فيها أخرى(٣).

وبالرغم من صغر سن السلطان "بركيارق" إلا أنه كان يتمتع بقدر كبير من الكياسة، والسياسة، وحسن التصرف. كما كان سلطانا مهيبا قويا. استطاع

([١]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص١٦٨.

([٢]) البندارى: دولة آل سلجوق ص٨١ . ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٨ ص٢٩٦.عبد النعيم حسنين: السلاجقة ص٢٣.

([٣]) أحمد معوض: تاريخ المشرق الإسلامي ص٣١،٣٠ .



أن ينتصر في أكثر الحروب التي خاض غمارها. مما ساعده على تحقيق أغراضه وبلوغ أهدافه(١).

وقد أدرك السلطان "بركيارق" أن الواجب يحتم عليه أن يبذل الجهد للمحافظة على سلامة ووحدة الصرح الذى شيده والده "ملكشاه" التى أصبحت الدولة بموجبه قوة إسلامية كبيرة لها وزنها فى مشرق العالم الإسلامى ومغربه.

واللافت أن سلاطين السلاجقة اتخذوا لأنفسهم حواضر خاصة بهم في بلاد المشرق الخاضعة لسلطانهم، ولم يتخذوا من بغداد مقرا لإقامتهم كما فعل "البويهيون" لكنهم أرسلوا نوابا لهم ليراقبوا نشاط الخلفاء العباسيين ووزرائهم، وصاروا يصرفون شؤون الحكم من عاصمتهم فاتخذ "طغرل بك" أول سلاطين السلاجقة في أول الأمر مدينة "الري" لتكون حاضرة ملكه ثم جعل "نيسابور"، واتخذ ألب أرسلان مدينة "مرو" واتخذ ملكشاه مدينة "أصفهان" التي كانت أحب المدن إليه، بينما لم يكن للسلطان "بركيارق" مقر دائم، به مقر سلطانه وحكومته، حيث كان فى حروب متصلة، وأسفار غير منقطعة طوال فترة حكمه. فرغم أن "بركيارق" جعل مركز سلطته بالدرجة الأولى في "أصفهان" ثم "بغداد" إلا أن "خراسان" بقيت تمتلك قيمة كبيرة فى قلبه، كمهد أول لنشوء السلاجقة(٢).

---

(١)عباس إقبال: إيران بعد الإسلام ص٢٧٠.

(٢) محمود إدريس: رسوم السلاجقة ص٤٥.







وتمتع "بركيارق" بحق إقامة الخطبة له على منابر بغداد، وفى سائر المدن السلجوقية الخاضعة لسلطانه بعد الخليفة العباسى مباشرة(١)، كما كان اسمه يضرب على السكة (النقود) فى هذه الأقاليم التى كانت تخضع خضوعا تاما(٢).

واتخذ السلطان بركيارق توقيعا خاصا به للتوقيع على المرسلات والمكاتبات الرسمية، وهو"اعتمادى على الله وحده" وهى عبارة عربية، ولم تكن تركية، أو فارسية(٣).

أما على صعيد الخلافة فنلحظ تراجع وتدهور مكانتها فى العصر السلجوقى، فقد عانى الخليفة من تراجع دوره ولم نعد نشعر بحضوره على المستوى السياسى إلا فى سياق تأكيد قوة هذا السلطان أو ذاك، فى خضم الصراعات الداخلية داخل الأسرة السلجوقية، فقد أصبح وصول المتنصر إلى بغداد، وحصوله على شرعية سلطته من الخليفة، هى المناسبة الأبرز لذكر الأخير وحاضرته فى المصادر وألسنة المؤرخين.

ولما كان سلاطين السلاجقة حريصين على الظفر بموافقة الخليفة العباسي حتى يكتسب الصفة الشرعية فى نظر عموم المسلمين، توجَّه بركيارق في(٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م) إلى بغداد بصحبة وزيره "عز الملك" الحسين بن نظام الملك، من أجل الطلب من الخليفة، وخُطب له على منابر بغداد ولُقِّب

---

(١) الراوندي: راحة الصدور ص٢١٤.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء ص٢٩١.

(٣) الراوندي: راحة الصدور ص٢١٤. ابن النظام: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٨١.



بركن الدين، وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير إليه الخلع فلبسها، وعُرض التقليد على الخليفة، ولما توفى الخليفة المقتدى فجأة، وتولى ابنه أبو العباس أحمد سدة الخلافة وتلقب بالمستظهر، اعترف بـ"بركيارق" سلطاناً على السلاجقة، كما بايعه السلطان بالخلافة(١).

وأغلب الظن أن السلطان "بركيارق" لم يفكر فى الذهاب إلى عاصمة الخلافة بغداد، إلا من زاوية حصوله على الصفة الشرعية بالدرجة الأولى، يؤيد ذلك ما عرف عنه من امتناعه عن الإقامة الفعلية فيها.

ب ـ ولاية العهد:

لم تكن ولاية العرش فى الدولة السلجوقية وراثية، بل كان أكبر أمراء الأسرة قوة، وأبرزهم شخصية، وأقدرهم على الدفاع عن عرشه، هو الذى يتولى العرش دون سواه(٢).

ولا شك أن السلطان "بركيارق" رأى أن النزاع حول العرش قد نخر فى عظام الأسرة السلجوقية، وصرف قادتها عن الفتوحات الخارجية بالصورة التى كانوا عليها سابقا، وتفككت الروابط القوية التى كانت تربط بين أفرادها، فأراد أن يحسم هذه المشكلة فى حياته، فيذكر المؤرخون(٣) أن بركيارق أوصى قبيل وفاته بتنصيب ابنه الصغير "ملكشاه الثانى" على عرش السلاجقة ،

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٨ ص٤٩٣.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة ص٢٠٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٩ ص٧٧.

والذى كان ما يزال طفلا فى الخامسة من عمره، وجعل له أتابكا يقوم على شئونه(١).

فلما مات أبوه حمله الأتابك "إياز" الوصى عليه إلى بغداد وحصل من الخليفة على اعتراف بسلطنته. فسارع أخوه "محمد" بالتوجه إلى بغداد واستمال إياز إلى جانبه، واتخذه وزيرا له، فسلم إليه عرش السلطنة دون نزاع (٢).

وكان "ملكشاه الثانى" قد جلس على العرش بضعة أشهر، ثم خلع وسملت عيناه، كما كانوا يفعلون عادة بكل من أرادوا إقصاءه عن العرش(٣).

ج ـ الوزارة:

يعزى كثير من المؤرخين كثيرا من الأسس والإصلاحات السياسية والإدارية فى الدولة السلجوقية، واستقرار حالة البلاد إلى الوزير السلجوقى الأشهر "نظام الملك الطوسي"، الذى كان خبيرا بها منذ أن كان يعمل فى خدمة الغزنويين، فكان على ما يذكره المؤرخون(٤)عليما بأحوال السياسة الظاهرة والباطنة، كما كان مسئولا عن حالة الرخاء التى بلغتها الدولة فى وزارته، والتى جعلت من الدولة فى عهد "ملكشاه"مضرب الأمثال.

---

(١) حلمى: السلاجقة ص٥٢.

(٢) براون: تاريخ الأدب فى إيران ص٣٧٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٩ ص٧٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص٦٤. الحسيني: الزبدة، ص١٤٠-١٤٥. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٦١. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص١٣٥.

وقد أوردت المصادر الأصيلة قوائم متباينة لوزراء "بركيارق" ومشيريه الذين عملوا فى خدمته، إلا أن الملاحظة التى تتبادر للمتفحص لهذه القوائم أن غالبية هؤلاء الوزراء كانوا من أبناء الوزير "نظام الملك الطوسي" الذى عمل فى خدمة "ألب أرسلان" و"ملكشاه" والذى بدأ حياته فى خدمة الغزنويين، ثم التحق بخدمة السلاجقة(١) .

وقد أجمع المؤرخون على أن الوزير فى عهد السلطان "بركيارق" بعد مقتل "تاج الملك الشيرازي" كان أحد أبناء نظام الملك وهو "عز الملك" الذى كان يقيم فى أصفهان، وهو الأخ الأصغر لأخويه الشهيرين "مؤيد الملك" و"فخر الملك" اللذين كانا يقيمان وقتها خارج أصفهان واللذين سوف تؤل إليهما الوزارة على التوالى(٢). ويذكر البنداري (٣) أن هذا الرجل لم يكن كفئا لمنصبه، وأنه لم ينجز أمرا ذا بال أثناء وزارته، بل زادت الأمور تعقيدا فى عهده بمرور الأيام.

ولما مات عز الملك سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) أسند بركيارق منصب الوزارة إلى أخيه "مؤيد الملك" الذى كان قد فرّ من خراسان عقب نشوب فتنة بين "أرسلان أرغون" و"بوري برس".

([١]) دولة آل سلجوق: ٨٣ . الراوندي: راحة الصدور ص٢١٤. خواندمير: دستور الوزراء ص٢٩٧.

([٢]) حلمى: السلاجقة ص٤٨ ، ٤٩.

([٣]) تاريخ دولة آل سلجوق: ص٨٣ .

والمعلومات التى يقدمها لنا المؤرخون(١) تصف "مؤيد الملك" أنه كان أشهر وزير فى عهد "بركيارق" خلال الفترة القصيرة التى قضاها فى الوزارة التى قاربت العام، وذلك بفضل ثقافته الواسعة، وما اشتهر به من بلاغة وفطنة، كما تمكن خلالها وبفضله من تحقيق انتصار ساحق على خصم السلطان العنيد عمه"تتش بن ألب أرسلان" وقتله(٢).

ومن المؤسف أن هذا الرجل كان عرضة للكيد من الأمراء، لاسيما أم السلطان "زبيدة خاتون" التى كانت لا ترتاح له، فحرضت السلطان على عزله، الذى استجاب لطلبها، متناسيا خدماته المتعددة(٣).

وبعد عزل "مؤيد الملك" اختار بركيارق "فخر الملك" ليكون وزيرا له(٤). وطوال فترة وزارته (٤٨٨- ٤٩٠-/١٠٩٥-١٠٩٦م) كان يعمل لحساب "زبيدة خاتون" أم السلطان، ولا نجد ما ينص صراحة على أنه كان ذا شأن فى تدبير أمور الدولة السلجوقية، وانتهى الأمر بأن عزله بركيارق، وأسند وزارته لـ "مجد الملك القمي" مدة تقرب من عامين حتى مصرعه (٥). وبعد مصرع

---

(١) الراوندي: راحة الصدور ص٢١٤.ابن النظام اليزدي: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٩. خواندمير: دستور الوزراء ص٢٩٧.

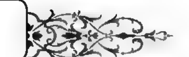
(٢) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة ص١٦٩.

(٣) ابن النظام: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٩.

(٤) الراوندي: راحة الصدور ص٢١٤. ابن النظام: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٧٨.

(٥) تاريخ دولة آل سلجوق: ص٨٣ .





"مجد الملك" اختار بركيارق "نظام الدين أبا المحاسن الأعز بن محمد وزيرا له(١).

والملاحظ أن كل وزير اتخذ لنفسه علامة أو توقيعا خاصا به، يحمل اسم الله . فكانت علامة عز الملك "أحمد الله وأشكره"، بينما كانت علامة مؤيد الملك "الحمد لله على النعم"، واتخذ فخر الملك "الحمد لله على نعمائه" (٢).

د ـ المستوفى:

تلى منزلة المستوفى منزلة الوزير فى الدولة، ويرتبط عمله بالشئون المالية والحسابات، ولذلك يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة حسن السيرة والخبرة الواسعة بأسرار المعاملات المالية وفن الحسابات(٣).

ويعد أن تبوأ "عز الملك" سدة الوزارة أسند منصب رئاسة ديوان الاستيفاء إلى "علي بن علي القمي" الذى كان ذا كفاءة عالية، حتى ينسب إليه كثير من الإنجازات التى تمت فى عهد بركيارق، لاسيما الإشراف على دواوين الدولة، وإدارة ماليتها (٤).

هـ ـ الأتابك:

لقب تركى أطلقه السلاجقة على بعض رجال البلاط والوزراء والقادة، ويعني القائد أو الحاكم العسكري. وأتابك: كلمة مركبة من لفظين تركيين "أتا"

---

(١)عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة ص١٦٩.

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق: ص٨٣ .

(٣) السابق: ص٢١٠ .

(٤) تاريخ دولة آل سلجوق: ص٨٣، ٨٤.






أي الأب أو المربي، و"بِك" أي الأمير، فيكون معنى الكلمة "مربي الأمير" ثم صارت مع الأيام تستعمل لدلالات أخرى بينها الملك والوزير الكبير والأمراء البارزون الذين يمتون بصلة القرابة إلى السلاجقة والأمراء الأقوياء(١).

وكذلك أطلقت على من تُعهد إليه إمارة العسكر، ومنه شاع لقب "أتابِك العسكر". وأول من لقب بهذا اللقب نظام الملك وزير السلطان "ملكشاه" السلجوقي، حين فُوض إليه تدبير المملكة سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م) فإذا ولى السلطان أحد أبنائه حكم مدينة أو ولاية، أرسل معه أتابكه ليكون عوناً له في الحكم(٢).

وكثيراً ما كان الأتابك ينزع إلى استغلال نفوذه والتسلط على الأمير، وقد استفاد هؤلاء الأتابكة من ضعف الدولة وتنازع أبناء الأسرة السلجوقية للاستئثار بالسلطنة فعملوا من أجل الانفراد بالمناطق التي تحت حكمهم، والتوسع والسيطرة على الأراضي المجاورة. كما أنهم عملوا على توريث هذه المناطق لأبنائهم فنشأت ضمن السلطنة السلجوقية دويلات كثيرة متناثرة عرفت باسم دول الأَتابكة وأخذ نفوذها بالازدياد. وكان الأتابكة يستغلون نفوذهم بين الحين والآخر في تحريض أفراد البيت السلجوقي، وإِطماعهم بالسلطة(٣).

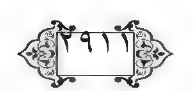
ولما كان سلاطين السلاجقة ليسوا على درجة كبيرة من الثقافة جعلهم فى حاجة ماسة إلى استخدام كثير من الموظفين من أهل البلاد لاستعمالهم فى الوظائف المختلفة، كان من أبرزهم "الوزراء" و"الحجاب" و"كتاب الرسائل" الذين

---

(١) حلمى: السلاجقة ص٢١٣ ، ٢١٤ .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٨ . خواندمير: دستور الوزراء ص١٦٥.

(٣) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام ص٢٦٦.





استطاعوا فى كثير من الأحيان أن يلعبوا دورا سياسيا وحضاريا وثقافيا فى كثير من الأحداث، كما استطاعوا فى كثير من الأحداث أن يسيطروا على السلاطين ويوجهوهم وفق إرادتهم(١).

و ـ حكام الأقاليم:

ورث "بركيارق" لقب سلطان عن أسلافه السلاجقة، فجمع فى يده كل السلطات السياسية والإدارية والمالية والعسكرية، وتمتع بسلطات واسعة، فكان هو المسئول الأول عن السياسة العامة للدولة، وإعلان الحرب، وقيادة الجيوش، وتعيين الحكام والقواد، ولم تشغله الحروب المتواصلة، وفتوحاته المتعددة من الاهتمام بشئون الدولة السلجوقية وتنظيم إدارتها، فكان صاحب الأمر المطلق فيها(٢).

ولما انقسمت الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان "ملكشاه" وقامت الحرب بين أبنائه وإخوته من أجل الاستحواذ على عرش السلطنة، استحدث منصب "نائب السلطنة" وأصبح للسلاجقة سلطانان في وقت واحد، أحدهما في "بغداد" والآخر في "أصفهان"(٣).

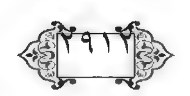
وكان على السلطان السلجوقى أن يعين عمالا فى أنحاء السلطنة يقرون بالولاء له، ويخضعون لحكمه، وهؤلاء الحكام يسمون بـ "الملوك" وينعمون

---

(١) محمد أمان صافى: أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ص٤٣٩، ٤٤٠.

(٢) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقي ص٩٦، المطبعة التجارة الحديثة، القاهرة ١٩٨٨م.

(٣)عباس إقبال: إيران بعد الإسلام ص٢٦٦.







بالاستقلال الذاتى داخل ولاياتهم، ولهم حق التوسع وامتلاك ما يفتحونه من بلاد، على أن يبادر إمداد السلطان بالجند التابعين له وقت الحاجة(١).

أما أقاليم الدولة فكان يلى كلا منها حاكم من أفراد البيت السلجوقى الذى أطلق عليه لقب "ملك" يخضع للسلطان السلجوقى(٢).

فلما نخر التخاصم والتنازع فى عظام الأسرة السلجوقية، وأوهن عزمها، وصرف قادتها عن الفتوحات أصدر السلطان بركيارق سنة (٤٩٠هـ/١٠٩٧م)

أمره بتولية أخيه "سنجر" حاكما على خراسان، ولقبه "الملك ناصر الدين" محاولة تسليمه مقاليد بعض الأمور، وكان في الحادية عشرة من عمره . وقد وضعه على رأس جيش وعين له أتابكاً ووزيراً وسيره إلى خراسان لقتال عمه أرسلان أرغون(٣).

أما بالنسبة لمحمد بن ملكشاه ـ أخى بركيارق غير الشقيق ـ فقد كان أيضاً مع بركيارق منذ خلافه مع "تركان خاتون" أم محمود، وكان يسير مع أخيه في رحلاته أو تنقلاته، ثم جعله بركيارق أميرا على" كنجة" وأعمالها، وجعل معه أيضاً أتابكاً كما فعل مع أخيه سنجر فيما بعد، فلما قوي قتل أتابكه هذا وسيطر على جميع أعمال أران التي من جملتها كنجة(٤).

---

(١) السابق: ص٢٠٩.

(٢) حلمي: السلاجقة ص ٢١٢.

(٣)عباس إقبال: إيران بعد الإسلام ص٢٦٩.

(٤) السابق: ص٢٧٠.





ولم يلبث أن وقع الخلاف بين بركيارق وأخيه محمد على أثر اتصال "مؤيد الملك" ابن نظام الملك بمحمد بن ملكشاه، بعد أن عزله بركيارق من الوزارة، فأفلح فى إقناع محمد باتخاذه وزيرا له فى ولايته، كما أفلح فى إغرائه بالاستيلاء على العرش وانتزاعه من يد أخيه(١).

وأصبح محمد يحمل لقب سلطان يتمتع بكافة الحقوق السياسية والعسكرية، وأن يتخذ من مدينة "همذان"عاصمة له، واعترف به الخليفة العباسى فى سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٩م)، فأصبح ولأول مرة يصبح على عرش السلاجقة سلطانان فى وقت واحد(٢)، وأصبح من حقه تعيين الوزراء، وقادة الجيوش، فضلا عن أرباب الوظائف، ولا يتدخل أحد فى عزلهم غيره(٣).

ويصف الراوندى "بركيارق" بأنه كان جوادا كريما

ومن أبرز الوظائف الإدارية التى نشطت فى عهد السلطان "بركيارق" أيضا هى:

أ ـ الشحنة:

من المناصب الى استحدثها السلاجقة، وهو منصب يشبه وزير الداخلية فى أيامنا، وإليه توكل مسئولية إدارة المدينة والمحافظة على الأمن فيها(٤).

ب ـ العميد:

(١) حلمى: السلاجقة ص٤٨ ، ٤٩ .

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٩ ص٧٢.

(٣)عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة ص١٦٩.

(٤) حلمى: السلاجقة ص٢١٣.



يعاون العميد الشحنة فى إدارة الولاية، وتوجيه القوات وقت الشغب (١).

ج ـ الحاجب

كان لبركيارق حاجب أكبر مهمته توصيل الأحكام والفرامين (الأوامر) السلطانية إلى الأمراء ورؤساء الجيش، فهو حلقة الوصل بين السلطان ورعيته.

والذين تولوا الحجابة للسلطان بركيارق هم: الأمير الحاجب "قماج"، والحاجب "طغان يرك" والحاجب "عبد الملك"(٢).

د ـ الطغراء (كاتب الرسائل):

يعرف صاحب هذه الوظيفة بـ "الطغرائي" يعهد لصاحبها بكتابة ورسم الخط المقوس فوق الرسائل، وهى تعنى الخط الذى يرسم فى صدر الفرمانات (الأوامر) والمنشورات، كما يحدث بالنسبة لعلامة كل سلطان، وبالنسبة للفظ "بسم الله" بصفة خاصة.

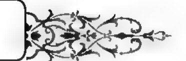
وهى كلمة تركية معناها الختم . يسمى بالعربية طغرائي وبالفارسية "ظغراكش" . ولما كان صاحب هذه الوظيفة لا يتطلب منه أكثر من حسن الخط،، لذا لم يشترط فيه أن يكون صاحب فضل (٣).

---

(١) حلمى: السلاجقة ص٢١٣.

(٢) الراوندى: راحة الصدور ص٢١٤.

(٣) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة ص٥٢.



ويذكر البندارى(١) أنه فى أوائل أول عهد السلطان "بركيارق تولى أحد أبناء نظام الملك ويدعى"عبد الرحيم" تولى هذه الوظيفة، وقالوا أن هذا المنصب لا يحتاج إلى فضل، الإ مجرد ذلك الخط القوسي.

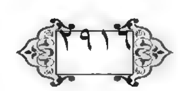
وكان يتفرع عن ديوان الطغراء ديوان آخر يعرف بـ "ديوان الرسائل والإنشاء" هو المختص بتوصيل الرسائل إلى السلطان، ويشترط فيه السرية والأمانة، فهو الذى يتولى تحرير المكاتبات الرسمية والأوامر والرسائل التى تصدر عن السلطان، وممهورة بخاتمه والمذيلة بشعاره، وغالبا كان المرشح الأول لتولى منصب الوزارة هو صاحب الطغراء (٢).

وكان صاحب الطغراء هو همزة الوصل بين الولايات والحكومة المركزية، ولذلك اعتبر من أهم الدواوين، حيث يتولى كتابة الرسائل فيه الكتاب، والأدباء، والبلغاء، ومن أهم الرسائل التى كانوا يقومون بتحريرها الرسائل السلطانية، والسياسية، وقد تمتع صاحب هذه الوظيفة بالجلوس إلى السلطان (٣).

([١]) دولة آل سلجوق : ص٨٢ .

([٢])عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة ص٥٣. محمد محمود إدريس: السلطان سنجر ص١١٢.

([٣])عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة ص٥٣.



ثانيا ـ النظام الاجتماعي:

الملاحظ على الحياة الاجتماعية فى عصر"بركيارق" أنها لم تتغير تغيرا جوهريا، وظل طابع الترف الذى كان يصبغ عصر سابقيه قائما، بل صارت إلى التعقيد والتشابك أكثر من ذى قبل، فأصبحت متعددة الوجوه كثيرة المطالب، وفارقتها البساطة التى كانت سمة غالبة على المجتمع الإسلامي من قبل، وظهرت طبقات من كبار الموظفين والتجار ورجال المال، وطفت طبقات اجتماعية مختلفة، فالطبقة العليا كانت تشمل السلاطين والأمراء، والقواد، والولاة، والقضاة، ومن يلحق بهم من ذوى اليسار من التجار وكبار الصناع، أما الطبقة الوسطى فكانت تشتمل على رجال الجيش، وموظفى الدواوين والصناع المتميزين، أما الطبقة الدنيا، فكانت تشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة، والخدم والرقيق(١).

وكان طبيعيا أن تختلف هذه الطبقات فى المستوي الاقتصادي والاجتماعي، فكانت الطبقة العليا تعيش فى نعيم وترف، أما الطبقة الوسطى فكانت ذات يسار لما كانت تقوم به من نشاط اقتصادي يخدم الطبقة العليا، أما الطبقة الثالثة فهى التى كان يقع عليها عبء العمل فى المهن الدنيا وتعانى من غلاء الأسعار(٢).

---

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر: ص٤٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث ينظر: المنتظم لابن الجوزي، والكامل لابن الأثير، وغيرهما من كتب التاريخ.

وكان طبيعيا والحال كذلك ألا يكون توزيع الثروة معتدلا، وأن يتعرض سواد الشعب لنوبات وهزات اقتصادية عنيفة فى صورة اضطرابات متتالية تحصد أرواح كثير من الناس.

ومع ذلك لم يكن الوضع الاجتماعي من السوء فى فترة حكم السلاجقة العظام، بل يمكن وصف الوضع بالمستقر، لاسيما وأن دولتهم كانت مترامية الأطراف، حتى يمكن وصفها بالفترة الهادئة نسبيا، ولكن ما لبثت الأوضاع أن تأزمت بعد قيام حرب الوراثة بين أبناء ملكشاه التى ألقت بحجر فى الماء الساكن(١). وأدى كثرة التشاحن والتخاصم بين أبناء البيت السلجوقى إلى كثير من النكبات، وإضرام نار الخلاف بين الحكام وأصحاب المناصب القيادية.

وتفشت العديد من الظواهر الاجتماعية السلبية فى هذا العصر، لاسيما ظاهرة المجون والاستهتار، وشرب الخمر جهارا، وعشق الغلمان(٢).

والحق أن الترف فى عهد السلطان "بركيارق" كان فاشيا حتى إنه ابتدع ألوانا من مظاهر الأبهة والترف؛ جعلت الدولة فى عهده مضرب الأمثال، حتى يذكر المؤرخون أنه كان يعيش مع عدد من الصبيان عيشة اللهو والمتعة،

---

(١) حلمى: السلاجقة ص١٩٥. ١٩٨ .

(٢) يؤثر فى العصر السلجوقى أنه كان لكل سلطان وأمير ووزير غلمان وعبيد مليحو الوجوه، يحلون محل النساء فى حياتهم، حتى كان عدد غلمان بعضهم يصل إلى مئات. وأمام تفشي هذه الظاهرة أفتى بعض الفقهاء بجواز ذلك، خوفا من بطش السلطات الحاكمة. السبكى: طبقات الشافعية ج ٣ ص١٨. ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص٢٣٢ ،٢٣٣، ترجمة أحمد محمد نادي، طبع المجلس الأعلى للثقافة، ط ١ ، القاهرة ٢٠٠٢م.

ملازما للشراب كثير الإدمان له، كما أن أمه اتهمها بعض المؤرخين أنها كانت تفعل ما يحلو لها، وتزامل "كمشتكين الجاندار" فى سكره وتشاركه فى ما يرتكبه من منكرات(١).

ويصف البندارى(٢) حال الدولة السلجوقية فى عهد السلطان "بركيارق" بقوله: "وأم السلطان قد خلعت عزارها، ووافقت لمشتكين الجاندار على المنكر، ومعاقرة المسكر، والسلطان مشغول باللعب والعشرة، مع عدة من الصبيان، والوزير أيضا منهمك فى الشرب مع الأخدان، والمساخر والمجان، ووصلوا إلى بغداد وألهتهم مغانيها وغوانيها، وصار الأمر مهملا، والعدل مغفلا" .

كما شهد عصر السلطان "بركيارق" تدهورا كبيرا فى مركز الوزارة، وكان هؤلاء الوزراء يعيشون فى نعيم بما يأخذونه من رواتب ضخمة وإقطاعيات، وما يختلسونه لأنفسهم من أموال الدولة حتى راجت الرشوة وعم الاختلاس، ويتوقف المؤرخون ليقصوا لنا الإسراف فى تغيير الوزراء وتبديلهم نتيجة لتدخل الأمراء الأتراك، ففى عهد "بركيارق" كانت الوزارة فى يد "عز الملك" عبد الله حسين بن نظام الملك. وتذكر الكتب التى أرخت لهذه الفترة أن هذا الرجل كان سكيرا، يسلك سبيل الضلال والغواية ويعاشر السفلة(٣). كما اجتمع إليه رئيس ديوان الاستيفاء "علي بن أبى علي القمي" فحدثت فى أيامهما أمور قبيحة(٤).

---

(١) الحسيني: زبدة التواريخ ، ص١٦٠. حلمى: السلاجقة ص٢٠٠.

(٢) دولة آل سلجوق ص٨٢ .

(٣) البنداري: دولة آل سلجوق ص٨٣.

(٤) خواندمير: دستور الوزراء ص٢٦٧.

وكان طبيعيا أن يشعر الناس باليأس ويسيطر التشاؤم على نفوس العامة ونفوس الشعراء خاصة، الذين ساءهم بزوغ نجم العوام وأدعياء الدين، ورواج الفساد والكذب والتزوير، وتفشى السلب والنهب، وتجويز الظلم والعدوان، حتى لجأ الكثيرون إلى الانقطاع عن العالم بصورة لم تحدث من قبل، وعبر أحد الشعراء عن حالة التشاؤم بقوله:"ليس فى السموات كلها غصن يثمر غير الشر والفتنة(١).

والملاحظ فى هذا العصر أن متوسط أعمار سلاطين تلك الفترة كان قصيرا بالقياس إلى من عداهم من السابقين حتى فسد نظام الحكم فسادا لا حد له، ويعلل "ابن خلدون"(٢) انحلال البيت بكثرة الترف.

ومما زاد الطين بلة انغماس السلاطين فى اللهو والمجون غير مكترثين بما فى خزائن الدولة، ولا فيما ينبغى أن ينفق منه على المرافق، وإعداد الجيوش بالعتاد المادى والحربى، وتحول الوزراء أيضا إلى لصوص ينهبون أموال الدولة، بينما الشعب يعيش أشد صنوف البؤس والشقاء.

ولكن الترف لم يكن حظ جميع الناس فإن سواد الشعب كانوا فقراء، إذ كانت هناك طبقة كبيرة من الرعية يقع عليها عبء العمل فى الزراعة والصناعات الصغيرة وفى خدمة أرباب القصور، والذين لا يجدون إلا ما يسد رمقهم، ومما زاد هذه الطبقة بؤسا أن الأسعار لم تكن ثابتة، فكثيرا ما كان

---

(١) عباس إقبال: تاريخ إيران ص٢٦٤.

(٢) المقدمة: ص٤٦ .





يرتفع ثمن القمح والشعير حتى يصبح حصول العامة عليه أمرا عسيرا، حتى اضطر كثيرون منهم أن يصبحوا قرَّادين وحوّائين ومتسولين(١).

وكان عصر"بركيارق" من الناحية المذهبية امتدادا لعصر أبيه الذى تفوق فيه أهل السنة على الشيعة. فنظام الملك بفتحه هذه المدارس، والإنفاق عليها بسخاء لم يكن يرمي إلى نشر العلوم الدينية فحسب، وإنما كان يهدف في قرارة نفسه إلى تحقيق إصلاح جذري لأحوال البلاد المضطربة بجمع القلوب حول أمراء الدولة السلجوقية، وطبعها على الإخلاص للمذهب، بعد أن كانت هذه القلوب متفرقة مزعزعة بسبب فعل الأيدي الأثيمة، التي كانت ترمي إلى تحقيق مآربها الشخصية، معرضة مصالح الناس وعقائدهم، بل وحياتهم للدمار والهلاك (٢).

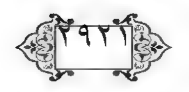
ولا يغيب عنا الدور الذى لعبه السلاجقة من تدعيم المذهب السني، وما كان له من أثر طيب في تقوية دعائمها، وتمكينها من الحكم، وبذلك مهد لعصر عرفت فيه نفوس الناس طعم السكينة والطمأنينة، بعد أن ذاقت خلال فترة طويلة من الزمن ـ إبان حكم البويهيين ـ ألوانا من العذاب، والقلق، والاضطراب، المترتب على الفتن والدسائس الدنيئة، وعلى استضعاف الخليفة العباسي السني، والتنكيل بأتباعه.

غير أن ظهور السلاجقة في ولاية خراسان، وزيادة نفوذهم فيها، لم يقض على الفتن المذهبية التي كانت قائمة في ذلك الوقت،فقد كان النزاع دائم

---

(١) التنوخي: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ج ١ ص٢٢ .

(٢) ابن الجوزى: المنتظم ج ٩ ص٩٨.





الوقوع بين السنة والشيعة، مما يسفر في كثير من الأحيان عن حوادث دامية يذهب ضحيتها كثير من الأهليين.

ففي سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)احتدم النزاع بين السنة والشيعة بمدينة نيسابور قتل على أثرها خلق كثير سنة (٤٩٦هـ/١١٠٢م)(١)، ثم لم يلبث أن وقع الصدام بين السنة والشيعة بمدينة "الري" بسبب مقتل مدرس مدرسة "نظامية أصفهان" "أبي المظفر الخجندي" الذى كان يعظ الناس هناك، قتله شيعي في المسجد (٢).

وقامت الحركة الإسماعيلية بنشر الرعب والخوف في قلوب الناس مستخدمين القتل والإرهاب لتحقيق مآربهم فقد قتلوا الوزير"نظام الملك" الطوسي سنة(٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وخططوا لقتل السلاطين أنفسهم فحاولوا قتل السلطان"بركيارق" سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، لكنهم لم يظفروا به ونجا منهم بأعجوبة (٣).

وكان طبيعيا أن يخرج من رحم هذا الاضطراب وعدم التوازن، التجاء بعض الناس إلى كثير من ألوان الكسب غير المشروع، الذى لا يأتى عن طريق زراعة الأرض وفلاحتها، ولا عن طريق التجارة، والأعمال المهنية المختلفة، وإنما يأتى عن طرق ملتوية أساسها التملق واستجداء الرزق فى صور مختلفة.

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج ٩ ص٧٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢ ص١٤٢.

(٣) الراوندى: راحة الصدور ص٢٢٠، ٢٢١. ابن النظام: العراضة فى الحكاية السلجوقية ص٦٧.







ونتيجة لما ساد العصر من مظالم اجتماعية ومساوئ فى الحكم والإدارة، واستبداد وعدم استقرار، لكثرة الحروب والفتن الداخلية، ثم البلبلة الدينية الناشئة عن الفرق الدينية المختلفة المتنازعة والمتناحرة، طغت على المجتمع ظاهرة اجتماعية شغل الناس بها حتى الخاصة منهم، ألا وهى ظاهرة الزهد والانقطاع للعبادة.

وليس غريبا أن يكون العامة أكثر المنتمين إلى المتصوفة بصورة كبيرة، نتيجة تلك العوامل الاجتماعية والاقتصادية، وسيطر على الكثير من مشاهير العصر الزهد، لاسيما الأدباء والشعراء، لما رأوا عناصر الفساد، والإباحية، والفوضى، تدب فى أوصال المجتمع وتعم وتطغى (١).

وشجع السلاطين تلك النزعة الصوفية عن رغبة حقيقية، وعقيدة عند بعضهم، أو عن رغبة خفية ماكرة، لمجرد مسايرة الشعور العام، لأن هذا الاتجاه يصرف العامة عن تتبعهم وحسابهم عما يفعلون (٢).

وفى أثناء رحلة "ابن جبير" إلى الشرق لفت اهتمامه أحوال الصوفية حين قال: "وأما الرباطات التى يسمونها الخوانق فكثيرة، وهى برسم الصوفية، وهى قصور مزخرفة يطرد فيها الماء على أحسن منظر يبصر، وهذه الطائفة الصوفية هم الملوك بهذه البلاد ، لأنهم قد كفاهم الله مؤن الحياة الدنيا

---

(١) حلمى: السلاجقة ص١٩٨.

(٢) محمد زغلول سلام: الأدب فى العصر الأيوبي ص٧٧، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٠م.



وفضولها، وفرّغ خواطرهم لعبادته من الفكر فى أسباب المعايش... وبالجملة فأحوالهم كلها بديعة، وهم يرجون عيشا طيبا هنيئا"(١).

وكان الشعور الدينى الذى غلب على الناس فى هذا العصر أثره كذلك على الأسماء والكنى التى تسمى بها الناس، فقد اتخذوا لأنفسهم كنى وأسماء مضافة إلى الدين أو منسوبة له مثل "زين الدين" و"نور الدين" و"عز الدين"، حتى إننا قلما نجد أحدا من مشهورى سلاطين العصر، وقواده، أو أمرائه، أو كتابه، أو غلمانه إلا واسمه مسبوق بأحد هذه الأسماء والألقاب(٢).

---

(١) ابن جبير: رحلة ابن جبير ص٢٨٤. دار ومكتبة الهلال ، ط٢ ، بيروت ١٩٨٦م .

(٢) محمد زغلول سلام: الأدب فى العصر الأيوبي ص٧٦.

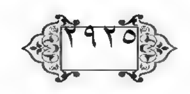



المرأة السلجوقية:

قد تكون الصورة السابقة للمجتمع فى عهد "بركيارق" مصبوغة بلون قاتم، إلا أننا لا ينبغى أن نغفل بعض جوانبها المشرقة، إذ تؤكد الأحداث التاريخية أن المرأة السلجوقية تمتعت بمكانة سامية عند الحكام والمحكومين، وبقسط كبير من الحرية، فشاركت الرجل في ميادين سياسية وثقافية عديدة، ووجدنا العديد منهن يشتغلن بالسياسة، وكان لهن نفوذ كبير، لاسيما زوجات السلاطين حتى إن بعضهن مثلن مرجعية فقهية وتشريعية رفيعة المستوى(١).

---

(١) تطورت مكانة المرأة في العصر السلجوقي تطورا ملحوظا، إذ دخلت المعترك السياسي، فنراها تدافع عن حقوق زوجها حتى لو أدي ذلك للخروج إلى ميادين القتال، وبدا ذلك جليا عندما اشتعلت الحرب بين "طغرل بك" وبين أخيه "إبراهيم ينال" . الذي كان يطمح في الاستيلاء على السلطة، وأصبح الموقف متأزما، لاسيما بعد أن استعان الأخير بـ"البساسيري" . القائد التركي المنشق عن الخلافة العباسية. وذلك سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) فهبت زوجته للدفاع عنه، ودفع الأخطار التي أحاطت به، فكان لشجاعتها أكبر الأثر في تحقيق النصر. ولما توفى السلطان "طغرل بك" عام (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)، ولم يكن له ولد يرث عرش السلاجقة من بعده، برزت مشكلة ولاية العهد، وأصبحت مثار تنافس شديد بن أفراد البيت السلجوقي. وكان طغرل قد تزوج بأرملة أخيه"جغري بك" التى أقامت معه في"الري"، هي وابنها "سليمان بن جغري" إذ استطاعت أن تؤثر عليه، وتجعله يختار ابنها وليا لعهده . رغم صغر سنه . متجاهله بذلك أخيه الأكبر "ألب أرسلان" الذي رأى أنه أحق الناس باعتلاء عرش السلاجقة من أخيه الأصغر سليمان بن جغري. ولم يكد يتوفي حتى نفّذ وزيره "أبو نصر الكندري" وصيته، وأجلس سليمان على عرش السلاجقة في الري، وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه. وتشير الدلائل أن =



وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لم تعبر عن الحضور النسائي للمرأة السلجوقية في المعارك تعبيرا حقيقيا، إلا أن هذا الحضور كان لافتا ويقوة في هذا العصر.

ولم يقتصر نفوذ المرأة على جانب واحد من جوانب السياسية؛ وإنما أضحت هيمنتها في بعض الفترات من جانب بعضهن هيمنة كاملة على كافة شؤون الدولة، فالخاتون زوجة السلطان "ملكشاه"وتدعى"تركان خاتون" لعبت دورا بارزا في مجريات الأحداث السياسية في عهد السلطان"بركيارق" التى اتسمت بالصراع السياسي بين نساء السلاطين، كل واحدة بحزبها السياسي والعسكري ضد الأخرى(١).

المرأة السلجوقية لعبت دورا بارزا في مجريات الأحداث السياسية في عهد السلطان "ألب أرسلان" (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٣م)، فالسيدة "جوهر خاتون" (أخت السلطان) كان لها اتجاهها السياسي في دولة أخيها، إذ وقفت حجر عثرة ضد رغبات الوزير"نظام الملك"وتسلطه على أمور الدولة، الأمر الذي جعل الأخير يعمل على إرهابها بمصادرة بعض أملاكها للتأثير عليها، وعدم تدخلها في الشأن السياسي. ولما توفي السلطان "ألب أرسلان" نجد أن هذه السيدة "جوهر خاتون" تجمع حولها الأنصار لمقاتلة الوزير "نظام الملك" بحجة تخليص ابن أخيها من تسلط هذا الوزير، الأمر الذي أدي في النهاية إلى مقتلها بتحريض من "ملكشاه"، ووزيره، للتخلص من شرورها. ويذهب البعض أن مقتلها أثار صدي سيئا لدي كثير من الناس، ونقمتهم على نظام الملك ، فسبوه ولاكت ألسنتهم بذمه. ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص٦٤. الحسيني: الزبدة، ص١٤٠-١٤٥.

(١) محمد مسفر الزهراني: الوزارة ص١٢٢.

وقد ذكر لنا المؤرخون أسماء نساء سلجوقيات تمتعن بشيء من النفوذ والسلطان وظهرن على مسرح الأحداث، ولعبن أدورا على المسرح السياسي، واشتركن في الحروب، ومن أظهرهن"تركان خاتون"(أوخاتون الجلالية) زوجة السلطان ملكشاه التي تبوأت مكانة سامية في حياة زوجها، حتى إنها اتخذت لنفسها وزيراً وهو "تاج الملك الشيرازي"الذي جعلت منه منافسا قويا لنظام الملك . وزير السلطان . وأخذت تزين للسلطان إقالته، وكان غرضها من ذلك استبعاد الأخير من وزارة السلطان، لاسيما بعد أن رأت تجبر هذا الوزير، وتحيزه إلى جعل ولاية عهد ملكشاه في ابنه الأكبر"بركيارق" ابن السلطان من زوجته "زبيدة خاتون"(١).

وكان السلطان ملكشاه قد أوصى قبيل وفاته لابنه محمود (٤٨٥-٤٨٧هـ/ ١٠٩٢-١٠٩٤م) بالسلطنة من بعده (٢).

فلما توفى السلطان كتمت زوجته تركان خاتون خبر موته، واستدعت إليها الأمراء فاسترضتهم واستحلفتهم لولدها محمود – وعمره آنذاك أربع سنوات وشهور، وهو من أصغر أولاد ملكشاه – فحلفوا لها بالطاعة والولاء(٣) .

وكان بركيارق(٤٨٧-٤٩٨هـ/ ١٠٩٤-١١٠٤م) أكبر أولاده في أصفهان ويبلغ الثالثة عشرة من عمره فاختاره السلاجقة هناك ليكون سلطانا عليهم،

---

(١) الراوندي: راحة الصدور ص٢٠٧. ٢٠٩.الحسينى: زبدة التواريخ ص١٣٤.

(٢) الرواندي:راحة الصدور ص٢٠١-٢٠٢. الحسيني: الزبدة، ص١٤٧- ١٥١. ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢ ص١٤٢.

(٣) البنداري: دولة آل سلجوق ص٨٠ ، ٨١ .

ولم يوافقوا على محمود لصغر سنه على الرغم من اختيار أبيه له، وموافقة الخليفة العباسي على ذلك(١) .

وما لبث أن قامت حرب الوراثة بين أبناء البيت السلجوقي بركيارق الابن الأكبر لملكشاه، والطامع في السلطنة وأخيه الأصغر محمود .

ولما علمت تركان خاتون بذلك أوجست خيفة منه، واستطاعت أن تهيمن على شؤون الدولة، وتتمكن بمواهبها في استخدام الأساليب الدبلوماسية من إقناع الخليفة"المقتدي بالله"(٢) العباسي، أن يجعل ابنها محمود سلطانا على السلاجقة ، مستغلة وجودها بجواره في عاصمة الخلافة، ولقبه "ناصر الدنيا والدين" وقام بالوصاية عليه وزيرها "تاج الملك"(٣)وذكر اسمه في الخطبة(٤) بل نراها تخرج إلى ميادين القتال، لتقاتل بركيارق، بعد أن جمّعت حولها الأنصار وأغدقت عليهم الأموال، وحملت لواء المعارضة، وحاربت في كافة الجبهات العسكرية والسياسية، حتى أصبحت حاكمة فعلية لأهم أقاليم الدولة السلجوقية ألا وهو إقليم "أصفهان"، حتى تمكنت من القبض على "بركيارق" وأمرت بإيداعه في السجن هناك(٥)، لكن أنصار نظام الملك الذين كانوا

---

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص١٦٥. محمد مسفر الزهراني: الوزارة ص١٢٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢ ص١٤٤.

(٣) الراوندي: راحة الصدور، ص٢١٧. ابن الأثير: الكامل ، ص١٦٦ ، ١٦٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص١٩٣. محمد مسفر الزهراني: الوزارة ص١٢٣.

(٥) البنداري : دولة آل سلجوق ص٨١ .

يؤيدون بركيارق تمكنوا من إنقاذه وإخراجه من السجن، والخطبة له على منابر أصفهان، والمناداة به سلطانا على السلاجقة (١).

ويذكر المؤرخون(٢)أن "تركان خاتون" استطاعت أن تكسب ثقة الجند بما قدمته لهم من هدايا وعطايا جعلتهم ينقادون لها، كما أنها أجرت اتصالات سياسية بالخليفة العباسي تمكنت من خلالها أن تملى رغبتها عليه بتعيين ابنها محمود في ولاية العهد(٣).

والمستغرب أن"تركان خاتون" استطاعت أن تقنع أحد أمراء السلاجقة ويدعى الأمير"إسماعيل بن ياقوتي" أمير أذربيجان ـ وهو خال بركيارق ـ أن ينقلب على ابن أخيه، بعد أن أغرته بالزواج منه(٤).

ومما يثير الدهشة أن السيدة "زبيدة خاتون" ـ إحدى زوجات ملكشاه أيضا (وأم بركيارق) والتى لم يكن لهل أي دور سياسي في حياة زوجها ـ نجدها صاحبة شخصية سياسية قوية، تفزع لنجدة ابنها بعد أن رأت غريمتها "تركان خاتون" تحاول أن تنتزع السلطنة لصالح ابنها الطفل. وقررت أن تمارس السياسة، وأن تقف بجانبه في تلك المواجهة السياسية، ومن ورائها مناصريها من أبناء الوزير الراحل "نظام الملك" لانتزاع الملك بالقوة، حتى إن "بركيارق"

---

(١) الحسيني: الزبدة ، ص١٥٧ .

(٢) الراوندي: راحة الصدور، ص٢١٧. ابن الأثير: الكامل ، ص١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان ص١٢٠ ،١٢١، دار المشرق ، بيروت ١٩٨٦م.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم: ج٩، ص٦٣.



يعترف صراحة أنه لم يكن راغبا في السلطنة لولا إلحاح أمه التي وقفت بجانبه، ولما لها من جاه ونفوذ في دولته(١).

ومن المؤسف حقا أن يشكك أحد المؤرخين(٢) في نزاهة هذه السيدة الفاضلة، ويكيل لها الاتهامات الباطلة، بدعوى أنها ظهرت على المسرح السياسي فجأة بعد وفاة زوجها السلطان واختلاطها بكبار القادة. والحقيقة أن المؤرخين شوهوا ـ دون قصد ـ تلك الصورة الواعية لتلك المرأة، وهذا ما فهمناه من خلال الروايات التاريخية.

ويرجح البعض(٣)أن مصدر تلك الاتهامات نبع من أنصار "تركان خاتون" الذين أهمّهم صعود نجم "زبيدة خاتون" ومهارتها في كسب الأنصار، حيث نجحت أن تضم إليها قادة الحزب المعارض لها أمثال "كمشتكين الجاندار" وغيره، حتى راح أنصار غريمتها يشككون في وجود علاقة خاصة بينهما.

والواقع أن "تركان خاتون" امتازت بمقدرة سياسية بارعة في جذب الأنصار، برغم عدم ممارستها العمل السياسي من قبل ، على عكس "زبيدة خاتون" التى كانت تمارس العمل السياسي في حياة زوجها الأمر الذي جعل الأخيرة تحاول أن تلصق بها التهم، لعلها تستطيع أن تلحق بها الأذى عن طريق نشر الشائعات.

---

(١) الراوندي: راحة الصدور، ص٢١٩. ابن الأثير: الكامل ، ص١٦٩.

(٢) الحسيني: زبدة التواريخ ص١٥٩.

(٣) فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية ص٤٩.






ولما كان تعدد الزوجات من الأمور المألوفة لدي السلاطين في ذلك العصر، كثر الأبناء من أمهات مختلفة، مما كان له أكبر الأثر في توجيه سير الأحداث السياسية.

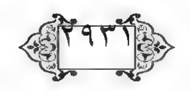
وتجدر الإشارة إلى أن السيدة "زبيدة خاتون"اتخذت لنفسها أجهزة إدارية خاصة بها، فمن أشهر وزرائها الوزير "عبد الرحمن السميرمي" حتى إن كلمتها كانت نافذة في عهد ابنها "بركيارق" فقد أمرت بعزل وزيره "مؤيد الملك"(١)عندما أحست أنه يعارض سياستها، وعينت بدلا منه أحد أخوته من أبناء "نظام الملك" وهو"مجد الملك"، فضلا عن تدخلها الدائم في كافة شؤون الحكم(٢)، وكان الجميع يعمل على استرضائها لما لها من سلطة قوية في دولة ابنها(٣).

---

(١) خواندمير: دستور الوزراء ص٢٦٨.

(٢) السابق ص٢٦٩.

(٣) الراوندي: راحة الصدور، ص٢١٧. ابن الأثير: الكامل ، ص١٦٦ ، ١٦٧ .



ثالثا ـ الثقافة:

لعل التباين الشديد بين طبيعة الثقافة وطبيعة الحرب عند السلاجقة جعل ملكاتهم الفكرية لا تجيد اللغة العربية وآدابها، فالحياة التى كانوا يعيشونها كانت فى الغالب بين الحرب والسلام، والفتح والهزيمة ما جعلهم يحسنون الفتح والغزو عن العلوم والفنون، التى لم يكن بها شأن يذكر، بل تركوا هذا الميدان للعناصر الفارسية الذين استعانوا بهم فى كل شئون حياتهم.

ويمكننا عزو النهضة الثقافية التي عمت العصر السلجوقي إلى تعاقب الثقافات المختلفة، بتعاقب الدول من: "صفاريين"، و"سامانيين"، و"بويهيين" (١)، الذين أغرموا بالثقافة ونشر العلوم، فكان تنوع الثقافات في هذا الإقليم من الأسباب المهمة في وجود حياة علمية وأدبية عالية، كل هذا كان أساسا صالحا بنى عليه صرح النهضة الفكرية والعلمية الشاملة في العصر السلجوقي(٢).

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه الدويلات أنظر عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجاوية ص٢٥٣ ومابعدها.

(٢) ما إن انقضي القرن الثاني الهجري حتى دخلت العربية سيول ثقافية وعلمية لا حصر لها، نتيجة دخول كثير من أبناء البلاد المفتوحة إلي الإسلام، فبمجرد أن فتح العرب مصر والعراق وإيران والشام، أخذوا ينهلون من كل الثقافات التي كانت منتشرة في تلك الأصقاع، فتجرد العرب لمعرفة اللغات الأجنبية التي كانت تحمل تلك الكنوز والمدخرات، مما مكن العرب أن يتحولوا سريعا إلي أمة علمية تعني بكل وسائل العلم الذي كان معروفا عند الأمم القديمة، وبخاصة الفرس والروم والسريان، وتشارك فيها مشاركة جادة خصبة، وتضيف إليه علوما جديدة تتصل =

والواقع أن الثراء العريض الذى عمّ البلاد، لاسيما عصر الوزير "نظام الملك" الذى كان أحد العمد القوية التى قامت على أكتافها النهضة العلمية فى معظم فترات الحكم السلجوقى(١) .

ومن المحقق أن زخم الحياة الفكرية والثقافية خلال عصر"بركيارق" يعود فى الغالب إلى مبادرات خاصة من بعض العلماء، إضافة إلى أن القسم الأكبر منها يعود إلى طبائع الأمور، أكثر مقاصد السلطة وأهدافها الملحة.

فالسلاجقة عموما لم يملكوا مشروعا ثقافيا حتى ولو كان من صميم التكوين المذهبى ومتطلباته، يجعلهم قوة مؤثرة على غرار"البويهيين" مثلا . الذين سخروا مجهودهم الثقافى لخدمة معتقدهم الدينى . بل ظلوا أسرة عسكرية متسلطة، دون أن يكون لهم تصور ثقافى، أو أصول معرفية، فيبادرون بأنفسهم إلى تأسيس مدارس، أو مراكز علمية، وإنما تركوا ذلك لوزرائهم.

فالمعطيات السياسية فى عهد "بركيارق" كانت تشير دائما إلى ضعف السلطة المركزية نتيجة الظروف المعاكسة.

بالقرآن والشريعة والشعر والأدب واللغة والفلسفة والتاريخ والجغرافيا ٠ حسين عاصي: اليعقوبي، عصره، وسيرة حياته، ومنهجه التاريخي ص٢٩، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٩٢م.

(١) كان اهتمام وزراء السلاجقة بالناحية العلمية عظيما، وعلى رأسهم الوزير السلجوقى نظام الملك الطوسى، الذى بنى عدة مدارس عرفت بالنظاميات في جميع أنحاء المشرق الإسلامى في نيسابور، وهراة، وبلخ، ومرو، وكان نظام الملك قد جعل في هذه المدارس وقفاً على المذهب الشافعى.ابن خلكان : وفيات الأعيان ح٣ ص٢١١ .



صحيح أن تلك المؤسسات والمراكز كانت تحظى بتأيد ودعم السلطة السلجوقية، إلا أنها تعود فى الغالب إلى التجاذبات المذهبية التى عاشها العراق والمشرق الإسلامى فى عصرهم، الأمر الذى انعكس على انحسار الفكر الشيعى، ولم يعد ثمة مؤشرات على ردته.

وعلى كل حال يبقى غياب إنشاء المدارس والمؤسسات التعليمية فى عهد السلطان السلجوقى "بركيارق" أبرز مظاهر الضعف فى الحياة الثقافية، كون هذه المعطيات السياسية بالقطع لا تشكل حاضنة تنمو فيه العلوم وتنتشر، وتبرز أعلاما ما كان لهم أن يظهروا إلا فى هذا النوع من الأوساط، ثم أنها من جهة أخرى تجعل النتاج العلمى أكثر ارتباطا بالسلطة.

ومن المحقق أن أبرز أعلام عهد "بركيارق" اقترن بأسماء مشهورين من العصر السابق، بالرغم من كثرتهم، وغزارة نتاجهم العلمى، الذى كان سمة العصر العباسي كله.

وبالرغم من أن أيام السلطان"بركيارق" كانت كلها محن وخطوب وفتن واضطرابات، إلا أنها تميزت إلى جانب ذلك بظهور طائفة من الأعلام الفضلاء.

واللافت فى عصر السلطان"بركيارق" ـ ومن قبله الدول التى قامت فى المشرق الإسلامى، بداية من الطاهريين، والصفاريين، والسامانيين، ثم البويهيين ـ أن اللغة الفارسية أثرت فى الثقافة الإسلامية من نواحيها المختلفة حتى أصبحت لغة الكتابة والأدب، وآية ذلك تلك الألفاظ الفارسية التى تسربت إلى اللغة العربية، وشمل التأليف بالفارسية والعربية علوم التاريخ والتفسير



والفلسفة والطب والرياضيات وكثير من علوم الحكمة(١)، حتى لقد وسم هذا العهد بعهد المؤلفات الفارسية التى تركت آثارها فى الآداب الإسلامية، كما بلغت العلوم الدينية درجة عظيمة، وظهر ذلك فى كتاباتهم ورسائلهم ونستطيع أن نستشف ذلك من خلال الكتب والأشعار التى أنشئت فى العصر السلجوقى(٢).

ويحسب لسلاطين السلاجقة أمثال:"ملكشاه" و"بركيارق" أنهم اختاروا وزراءهم من أهل العلم والأدب والفضل كـ "نظام الملك" و"مؤيد الملك"(٣).

ولا يغيب عنا ما كان للمدارس النظامية من أثر في تثبيت دعائم المذهب السني، وإعلاء شأنه، فقويت شوكة متبعيه، وأصبح لهم جاه وسلطان. وعندما وشي الواشون بنظام الملك لدى"ملكشاه: بأن الأموال التي ينفقها على المدارس تقيم جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية" أجاب "نظام الملك" "ملكشاه" في معرض الدفاع عن نفسه بقوله:"إني أقمت جيشا يسمي جيش

(١) تناقلت الأدبيات الإيرانية قصة عن سبب غلبة اللغة الفارسية موجزها أن "يعقوب بن الليث الصفار" بعد أن قام بسلسلة من الحروب، ووطد مركزه فى "سجستان" بعد أن استولى على فارس وكرمان وكابل، عاد وهو فى أوج انتصاره إلى عاصمة ملكه فى سجستان، فأقيمت له الاحتفالات، وأنشد الشعراء فيها قصائدهم باللغة العربية. فإذا به يتساءل: لماذا يقولون مالا نفهم ؟! ومن هنا أشاروا على الشعراء والكتاب أن يؤلفوا بالفارسية، ومن هنا بدأ استعمال الفارسية فى المكاتبات الرسمية استعمالا كاملا. أحمد معوض: أضواء على تاريخ المشرق الإسلامي وحضارته ص١٠. الدار العربية لنشر الثقافة العالمية، ط١، القاهرة ١٩٨٣م.

(٢) حلمى: السلاجقة ص١٥٦.

(٣) خواندمير: دستور الوزراء ص٢٦٩.



الله، إذا نامت جيوشك ليلا، قامت جيوش الليل على أقدامها، صفوفا بين يدي ربها، فأرسلوا دموعهم، وأطلقوا ألسنتهم، ومدوا إلى الله أكفهم بالدعاء لك، ولجيوشك، فأنت وجيوشك في حضانتهم تعيشون، وبدعائهم تتبتلون، وببركاتهم تمطرون وترزقون"(١).

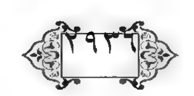
وإذا كانت الوقائع الفعلية لم تثبت بشكل مباشر الاهتمام العلمى والثقافى لآى أمير سلجوقى من الذين تولوا السلطة . باستثناء بعض المبادرات المحددة والغامضة . ولكن أبرز ما يميز حكم الأسرة السلجوقية قربهم من العلماء السنة، ورعايتهم لأعلامهم وشؤونهم بشكل لم يكن مألوفا فى تاريخ العراق والمشرق الإسلامي.

على أن حضور المذاهب السنية كان متفاوتا لمصلحة المذهب الشافعي، الذى تصدر المذاهب السنية فى تلك الفترة، نظرا لرعاية السلطة الحاكمة له(٢).

---

(١)الحسيني: زبدة التواريخ ص١٥٣. عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: المذهب السنى ص١٣٢.

(٢) ازدهرت في العصر السلجوقى مذاهب أهل السنة الثلاثة، أبي حنيفة، الشافعي، وأحمد بن حنبل، بينما كان أصحاب المذهب المالكي بعيدين عن هذا الصراع، إذ كانت أعدادهم قليلة في المشرق بشكل ملحوظ، وإن كان المذهبان الحنفي والشافعي قد راجا في المشرق الإسلامي أكثر من غيرها، حيث كان سلاطين السلاجقة يعتنقون المذهب الحنفي ويتعصبون له، بينما وزراؤهم يعتنقون المذهب الشافعى. عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني، ص١١٥، ١١٦.



وعلى الرغم من وجود مؤشرات على انكماش الحياة العلمية فى عهد السلطان "بركيارق" نظرا لانشغاله فى حروب ومعارك طاحنة طيلة فترة حكمه، إلا أننا لا نعدم من وجود أدوار إيجابية على مستوى التصنيف العلمى والأدبى التى تمثلت فى أعمال كبار محدثى عصرهم، أمثال: الحافظ "أبو بكر محمد السمعانى" المتوفى سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)(١)، أحد فرسان عصره فى علم الحديث، ومعرفة الرجال والأسانيد، والجرح والتعديل، ينسب إليه كتاب "أدب الإملاء"، بلغ من علمه:"أنه كان يضع الأسانيد فى الحال فى مجلس الوعظ دون أن يخطئ"(٢).

والحافظ الفقيه "أبو زكريا بن مندة الأصفهاني" المتوفى سنة (٥١١هـ/١١١٧م)(٣)، كان واسع الرواية ثقة، حسن السيرة، خرّج التخاريج لنفسه، ولجماعة من الشيوخ الأصفهانيين، وهو صاحب كتاب "تاريخ أصفهان (٤). والحافظ "أبو العلاء حمد بن نصر بن معروف الهمذانى" المتوفى سنة (٥١٢هـ/١١١٨م)(٥)، من علماء الحديث المشهورين، قال عنه ابن العماد(٦):"أملى وحدّث عدة مجالس من حفظه بهمذان، حتى نال جاه وشهرة عظميتين". ولا تزال مصنفاتهم مصادر رئيسة للفكر السني حتى اليوم.

---

(١) السيوطى: تذكرة الحفاظ ص٤٥٩. الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٤ ص١٢٦٦.

(٢) الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٤ ص١٢٦٦.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص١٦٨.

(٤) الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٤ ص١٢٥٠.

(٥) شذرات الذهب: ج٤ ص٣١. السيوطى: طبقات الحفاظ ص٤٥٣.

(٦) شذرات الذهب: ج٤ ص٣١.

وإذا كان الفقه السنى قد قطع شوطا بعيدا من النمو والتطور قبل العصر السلجوقى، فإن ما حدث فى هذا العهد شكل نوعا من الاستمرارية للإنجازات السابقة، مع بعض الإضافات النوعية المحددة التى أنجزها "الكيا الهراسى" المتوفى سنة (٥٠٤هـ/١١١٠م)(١). و"أبو بكر الشاشى" المتوفى سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م) (٢). والتى تعتبر مصنفاتهم مرحلة تأسيس فعلى للقواعد العامة، فضلا عن الأبواب الجديدة التى تم استخدامها فى مجال الفقه.

والأمر نفسه يمكن أن يقال فى علمى اللغة والأدب حيث شكلت مصنفات "الخطيب التبريزي"المتوفى سنة (٥٠٢هـ/١١٠٨م)(٣). و"أبو الظفر الأيبوردى" المتوفى سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م)(٤). و"أبو القاسم الحريرى" صاحب "المقامات" و"درة الغواص" والمتوفى سنة (٥١٥هـ/١١٢١م) (٥) والعلامة الكبير "الميداني" النيسابورى صاحب "الأمثال" والمتوفى سنة (٥١٨ هـ /١١٢٤م)(٦) التى أصبحت مراجع رئيسة للفكر المستنير والمتجدد.

---

(١) ابن عساكر: تكذيب كذب المفتري ص٢٨٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٢ ص١٧٧.

(٣) ياقوت: معجم الأدباء ج ٥ ص٦٢٨.

(٤) القفطي" إنباه الرواة ج٣ ص٤٩.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء ج ٥ ص٢٢٣.

(٦) الميدانى: كان عالما فاضلا عارفا باللغة خصوصاً أمثال العرب، وله فيها التصانيف المفيدة مثل كتاب "الأمثال" ، وكتاب "السامى في الأسامى" وهو من العلماء الذين عاشوا في القرنين الخامس والسادس الهجريين. ابن الأنبارى: نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص٢٨٨ تحقيق د / إبراهيم السامرائى . مكتبة المنار ط٣ الأردن ١٩٨٥م.





كما شكلت كتابات "ابن مندة الأصفهاني" صاحب كتاب "تاريخ أصفهان(١) والمتوفى سنة (٥١١هـ/١١١٧م)(٢) و"عبد الغافر الفارسى" صاحب "تاريخ نيسابور"والمتوفى سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م)(٣) محاولة منهما استحداث ميادين مختلفة للتاريخ، لا تزال تحتفظ بالكثير من بريقها حتى زمننا الحاضر.

وفى المجال الجغرافي لا نلمس ـ من خلال المعطيات التاريخية ـ تطورا نوعيا فى مجال الكتابة الجغرافية، بالرغم من بروز كتابات محددة ظهرت فى ثنايا كتابات مؤرخى هذا العصر، ما يوحى بانحسار هذا النوع من المعارف الرائجة التى كانت منتعشة قبل العصر السلجوقي.

ومن ظواهر عصر السلطان "بركيارق" ارتقاء التصوف الذى اعتنقه جماعة من الشعراء، والمشايخ، والعلماء، وتجلت تلك الظاهرة فى تلك الآثار المنظومة والمنثورة التى خلَّفوها فى تراثهم(٤).

وربما كان الغزو الصليبي الذى هدد كيان العالم الإسلامي جعل الشعور الدينى يشتد وينمو، لحاجة المجتمع إلى نموه، لتعبئة الشعور العام ضد الصليبين، وإثارة النخوة والحمية فيهم، حيث هب كثير من علماء المسلمين يوضحون ما انقسم إليه المسلمون من فرقة، ومن هؤلاء العلماء الإمام

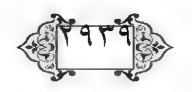
---

(١)الذهبى: تذكرة الحفاظ ج ٤ ص١٢٥٠.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص١٦٨.

(٣) عبدالغافر الفارسى: من أعلام نيسابور، كان إماما في الحديث واللغة والأدب والبلاغة والتاريخ، وله مؤلفات كثيرة منها "السياق في تاريخ نيسابور" . ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٣ ، ص٢٢٥ ؛ الذهبى: تذكرة الحفاظ ج٤ ، ص١٢٧٥ .

(٤) محمد أمان صافى: أفغانستان والأدب العربي عبر العصور ص٤٣٩ .



الغزالي، الذي هالته كثرة الفرق الدينية في عصره، وتعدد المذاهب الفلسفية المتضاربة، وسعت كل فرقة إلى تسفيه آراء مخالفيها والتهجم على أفكارها، فوقف حياته على مكافحة البدع من أجل حماية العامة من الزيغ والضلال، ولذلك حثهم على التمسك بالسنة، وأخذ الغزالي يحمل على الفقهاء والمتكلمين جميعا حملات عنيفة، مبينا أن ما هم فيه من جدال ليس من الدين في شيء، وأن من شأنه أن يزعزع العقيدة، ويحدث بلبلة في العقول(١) حمل على الفلسفة حملة شعواء في كتابه "تهافت الفلاسفة"ووجه حملاته بقوة إلى الإسماعيلية في كتابه "فضائح الباطنية" بينما تناول في كتابه "إحياء علوم الدين" الحياة الدينية والأخلاقية للمسلمين(٢) وكتب أيضا "القسطاس المستقيم"، و"المستظهري"و"حجة الحق"وهي كتب كتبها للرد على الشيعة ودعايتهم الواسعة، التي كان يبثها الدعاة الفاطميون في العراق والمشرق (٣).

بينما كانت خدمات "الزمخشري" أعمق أثرا وأغزر فائدة من خدمات أقرانه، فقد انبرى هذا العالم الفارسي للدفاع عن العربية والإسلام، وسخر جميع مواهبه المتعددة لمقارعة أعدائهما، وهو يمثل في هذه الناحية رد فعل ضد الشعوبية وأعمالها الهدامة، إذ كان موقفه من العربية خلاف موقف الفردوسي صاحب الشهنامة، حيث قدم الزمخشري للعربية خدمات جليلة في اللغة والنحو

---

(١)عبد الرحمن الحسون: أهداف التربية في العصر العباسي، ص٦١، مجلة الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة السابعة، ج١، بيروت، ١٩٥٤م.

(٢) منير القاضي: الإمام أبو حامد الغزالي ص٣٢.

(٣) منير القاضي: الإمام أبو حامد الغزالي، ص٤٠-٤٢.





والصرف وغير ذلك، غير أن خدمته الكبرى جاءت عن طريق الكلام والتفسير، وعلى الرغم من كونه معتزلي المذهب، فلا يزال تفسيره للقرآن الكريم المعروف بـ"الكشاف" يحتل مكانة مرموقة، ويجد قبولا لدى المسلمين كافة (١).

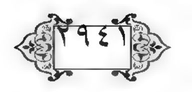
ولما كان السلاجقة متحمسين للمذهب السني، تصدوا للدفاع عنه خاصة، وعن الإسلام عامة، وعملوا على تحقيق ذلك بشتى الوسائل، سواء بالقوة العسكرية، أم بالتعليم ونشر المعرفة. فالعصر السلجوقي من الناحية العلمية يمثل ثورة الفكر السني ضد تيارات الفكر الشيعي، والتصدي لها بقوة، حتى خفت صوت الشيعة، وأصبح أمرهم إلى زوال.

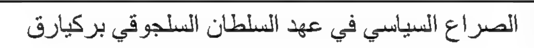
والحق أن العقيدة السنية كانت في أشد الاحتياج إلى من يعلي شأنها ويحفظها من هجوم الخصوم الذين عملوا على امتهان المذهب السني وزعزعة الأمن والنظام.

والواقع أن المصادر لم تمدنا ـ خلال فترة الدراسة ـ بمعلومات وافرة عن الذين نبغوا فى العلوم العقلية خلال فترة حكم السلطان "بركيارق"مثل علوم: الطب، والهندسة، والكيمياء، والفلك، والفلسفة، ومرجع ذلك فى الغالب إلى أن المؤرخين انشغلوا بتسجيل الوضع الدينى والعلوم الدينية والعلماء الذين نبغوا فى هذا الميدان متناسين بقية العلوم.

---

(١) ياقوت: معجم الأدباء ج٥ ص٤٨٩.





الخاتمة

وبعد... فلعل التشابه بين عصرنا الذى نعيشه الآن، والعصر الذى نحن بصدده، يدفعنا أن نسترجع التاريخ الذى عاشه أسلافنا وخلّدوه، لنتخذ من الماضى مدداً للمستقبل، ومن الحاضر خطوة نحو الغد الأفضل.

ولنتوقف قليلاً لنشير بإيجاز إلى أهم المعطيات السياسية والمظاهر الحضارية لهذه الفترة لأنها من المؤشرات والتحولات النوعية الخطيرة في مسيرة التاريخ السلجوقي، وإلتى أدت إلى بروز عناصر جديدة أثرت في تكوين بنية الدولة العربية الإسلامية الجغرافية السياسية، تلك البنية التي عاشت الخلافة العباسية واقعها خلال القرن والنصف قرن اللاحقين واللذين انتهيا بسقوط الخلافة على أيدي المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

أولا . ظهور الانقسامات، واقتسام السلاطين والأمراء السلاجقة للبلاد وذهاب عصر الوحدة وعهد سيطرة سلطان واحد على الدولة بكاملها فيوم وفاة "ملكشاه" انقسمت الدولة بين عدة سلاطين وأمراء متكافئين سياسياً وعسكرياً تقريباً، فكل حاكم أصبح سلطاناً في أراضيه الخاصة . فمحمد أخذ شمال غربي إيران (أذربيجان)، ديار بكر، الجزيرة، الموصل، سوريا، بينما أخذ "بركيارق" قلب الدولة: إقليم الجبال، طبرستان، فارس، الأحواز، بغداد، ثم الحرمين (الشريفين) مكة والمدينة. بينما بقي لسنجر خراسان وهو يخطب فيها لمحمد. بينما كانت بلاد الشام في قبضة أبناء تتش وكانت آسيا الصغرى تحت حكم أبناء سليمان بن قتلمش، وكانت كرمان(١) تحت حكم أبناء قاورد.

---

(١) كرمان: ولاية كبيرة ذات قرى واسعة بين فارس ومكران وخراسان، ياقوت، معجم البلدان، ج٤ ص٤٥٤.

ثانيا . صراع الوزراء وتزايد نفوذهم، وقد كان هؤلاء الوزراء بالدرجة الأولى من أبناء نظام الملك وزير ملكشاه .

وقد عادى هؤلاء الوزراء الآخرين الذين أتخذهم بعض السلاجقة وزراء لهم، وبهذا أثروا في سير الأحداث عندما مالوا إلى جانب سلطان دون آخر، لما امتلكه هؤلاء النظامية من نفوذ . كما أن التنافس الذى دخل أيضاً بين أبناء نظام الملك أنفسهم أدى إلى تألبهم على بعضهم، ومساهمتهم في تمزيق وحدة الدولة بما قاموا به من تحريض وما أوجدوه من عداوات.

ثالثا . انعكس التخاصم والتنازع بين السلاطين السلاجقة وتعدد الحروب بينهم، حاجة كل منهم إلى جيش خاص يتسلح به ضد خصومه، بل وأحيانا لأكثر من جيش إذا ما خسر أكثر من معركة، كي يحقق مصالح خاصة، وطموحات ذاتية، بمنأى عن منافسة الآخرين، ومن ثم بدأ هؤلاء القادة يكونون سلالات محلية تتوارث الامتيازات العسكرية، ولم تكن من مصلحة هؤلاء أن تتوقف الحروب بين السلاطين، والأمراء السلاجقة، بل كانوا يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم.

رابعا . ظهور ما يسمى بالأتابكيات . فبعد موت ملكشاه كان هنالك الكثير من الأمراء السلاجقة الصغار المنصبين على إقطاعات إقليمية، وكل واحد من هؤلاء كان قد تم تعيين أتابك له، وكان واجب كل واحد منهم ينحصر بالحفاظ على الأمير الصغير الذي يرعاه وإدارة الإقليم أو الإقطاع له لحين بلوغه، وكان معظم هؤلاء الأتابكة من القادة العسكريين.

والملاحظ أن بركيارق زاد من تعزيز وجود هذه الظاهرة في عصره بتعيينه أتابكا لأخويه "سنجر" و"محمد"، ولإقرار أتابكة لأولاد عمه "تتش" في بلاد الشام، و"دقاق" في دمشق، و"رضوان" في حلب .





وقد قام هؤلاء الأتابكة فيما بعد بالاستحواذ على السلطة وتكوين أمارات محلية سميت بالأتابكيات، أمثال: "أولاد برسق" في الأحواز، و"الأراتقة" في ديار بكر و"الزنكيين" في الموصل، والتى لعبت دوراً في تاريخ الدولة العربية الإسلامية.

خامسا . كان الغزو الصليبي الذى هدد كيان العالم الإسلامي جعل الشعور الدينى يشتد وينمو، لحاجة المجتمع إلى نموه، لتعبئة الشعور العام ضد الصليبين، وإثارة النخوة والحمية فيهم، وهب كثير من علماء المسلمين يوضحون ما انقسم إليه المسلمون من فرقة.

سادسا . وفي وسط هذه الحالة من الضعف والتشتت، واندلاع الصراع بين أفراد البيت السلجوقي، لاسيما بعد وفاة "ملكشاه"، واستحكام العداوة والبغضاء بين عباسي بغداد وفاطميي القاهرة ،اكتسحت جحافل الجيوش الصليبية المنطقة العربية الإسلامية من أنطاكية إلى شواطئ مصر، حيث لم تلق مقاومة تذكر لأن المسلمين كانوا غارقين في صراعاتهم الداخلية والمذهبة، حتى سقط بيت المقدس في أيد الصليبيين سنة (٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م).

وحين سقط بيت المقدس جاء وفد إسلامي إلى بغداد طالبا عون الحكومة المركزية ولكنه لم يتلق سوى العواطف من الخليفة، والدموع من الشعب المتألم في حين لم يكن لدى السلطان بركيارق السلجوقي أي شيء يقدمه لأنه كان مشغولا بالصراع على كرسي السلطنة.

سابعا . من المحقق أن زخم الحياة العلمية خلال عصر"بركيارق" يعود فى الغالب إلى مبادرات خاصة من بعض العلماء، إضافة إلى أن القسم الأكبر منها يعود إلى طبائع الأمور، أكثر مقاصد السلطة وأهدافها الملحة.





فالسلاجقة عموما لم يملكوا مشروعا ثقافيا حتى ولو كان من صميم التكوين المذهبى ومتطلباته، يجعلهم قوة مؤثرة على غرار"البويهيين" الذين سخروا مجهودهم الثقافى لخدمة معتقدهم الدينى، بل ظلوا أسرة عسكرية متسلطة، دون أن يكون لهم تصور ثقافى، أو أصول معرفية، فيبادرون بأنفسهم إلى تأسيس مدارس، أو مراكز علمية، وإنما تركوا ذلك لوزرائهم.



ملحق رقم (1)

نقلا عن . سيف الدين الكاتب: أطلس تاريخ العرب والإسلام ص١١٤، دار الشرق العربي، ط٣، بيروت ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

* ابن الأثير: على بن أبي الكرم. (ت٦٣٠هـ)

١ – الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية ط٣، بيروت١٩٨٨م.

٢. اللباب فى تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت١٩٨٠م.

* ابن اسفنديار: بهاء الدين محمد بن حين بن أسفنديار(ت ٧٥٠ هـ)

٣ـ تاريخ طبرستان، ترجمة :أحمد محمد نادي، طبع المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة ٢٠٠٢م.

* ابن الأنبارى: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد(٥٧٦هـ)

٤. نزهة الألباء فى طبقات الأدباء تحقيق د/ إبراهيم السامرائى مكتبة المنار ط١ الأردن ١٩٨٥م.

* البنداري: الفتح بن علي البنداري الأصفهاني (٥٩٧هـ)

٥ . تاريخ دولة آل سلجوق (اختصار الفتح بن على البندري) دار الآفاق الجديدة، ط ٣، بيروت ١٩٨٠م.

*ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي(٥٩٧هـ)

٦ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، ط١ حيدر أباد ١٣٥٩هـ.

* الحسيني: صدر الدين علي بن ناصر الحسيني(٦٢٢هـ)



٧ – زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق د/ محمد نور الدين، دار اقرأ، ط ١ بيروت ١٩٨٥م٠

* ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ)

٨– العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.

* ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. (٦٨١هـ)

٩– وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

*خواندمير: غياث الدين بن خواندمير (٩٤٢هـ)

١٠ ـ دستور الوزراء، ترجمة : د/ حربي أمين سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.

* الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد (٧٤٨ هـ)

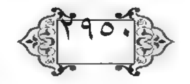
١١– العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية بيروت (د .ت).

* الراوندي (من علماء القرن السادس الهجري) محمد بن علي بن سليمان

١٢ ـ راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة د / إبراهيم أمين الشورابي وزميلاه، دار القلم ـ القاهرة ١٩٦٠م.

* السبكي (٧٧١هـ) تاج الدين بن تقي الدين السبكي.

١٣– طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة، ط٢ بيروت (د.ت).



* السمعاني: أبو سعد بن محمد بن منصور (٥٦٢هـ).

١٤ـ الأنساب ، وضع حواشيه : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ١ بيروت ١٩٨٨م.

* السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ)

١٥ـ تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت ١٩٦٤م.

* ابن شاكر الكتبي : محمد بن شاكر بن عبد الرحمن(٧٦٤ هـ)

١٦ . فوات الوفيات، تحقيق : د / إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٧٣م.

* ابن العبري: غريغوريوس أبو الفرج بن هارون (٩٨٥هـ)

١٧ – تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية ط١ القاهرة، ٢٠٠١م.

* ابن العديم: عمر بن أحمد بن أبي جرادة (٦٦٠ هـ)

١٨ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب حققه وقدم له د / سهيل زكار دار الكتاب العربي ط ١ دمشق ١٩٩٧م.

* ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي (١٠٨٩هـ)

١٩ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر بيروت (د٠ ت)

* القفطي: جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف (٦٤٦هـ)

٢٠ . إنباه الرواة على أنباء النحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربى ط١ القاهرة ١٩٨٦م

* ابن القلانسي: أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي (٥٥٥هـ)

٢١ . ذيل تاريخ دمشق، مطبعة المتنبي (د٠ ت)

* ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)

٢٢ – البداية والنهاية في التاريخ، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٣٢م.

* أبو المحاسن: جمال الدين يوسف بن تغرى بردي الأتابكي (٨٧٤هـ)

٢٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٣٥م.

* المقريزي: تقى الدين أحمد بن على (٨٤٥هـ)

٢٤. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،المجلس الأعلي للشئون الإسلامية القاهرة.

*ميرخوندا: محمد بن خاوندشاه (٩٠٣ هـ)

٢٥ـ روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمه عن الفارسية د.أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب ط١ القاهرة ١٩٨٨م.

* ناصر خسرو: ناصر خسرو علوي (ت .٤٨١هـ)





٢٦ـ سفرنامة:، ترجمة : د/ يحيي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

* ابن النظام اليزدي: الوزير العالم محمد بن محمد بن عبد الله (٧٤٣هـ)

٢٧ ـ العراضة فى الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق: د/ عبد النعيم محمد حسنين، د/حسين أمين، مطبعة جامعة بغداد١٩٧٩م.

* نظام الملك: الوزير السلجوقي الكبير نظام الملك الطوسي(٤٨٥هـ).

٢٨ . سياست نامة، ترجمة د/ يوسف حسين بكار، دار الثقافة، ط٢، قطر ١٩٨٧م .

* النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣ هـ)

٢٩- نهاية الأرب في فنون الأدب دارا لكتب المصرية القاهرة، ٢٠٠٧م.

* ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (٦٢٦هـ)

٣٠. معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

٣١ . معجم الأدباء أو "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، ١٩٩١م.



ثانياً : المراجع:

* أحمد السعيد جمال الدين (دكتور)

١- دولة الإسماعيلية في إيران ، مؤسسة سجل العرب القاهرة ١٩٧٥م.

* أحمد السعيد سليمان (دكتور)

٢ تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩م.

*أدورد بروان .

٣ـ تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، ترجمة د/ إبراهيم أمين الشواربي. مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٤م.

* أمينة بيطار (دكتور)

٤ـ موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دار دمشق للطباعة ط ١، دمشق ١٩٨٠م.

*بارتولد .

٥. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

* تامارا رايس

٦ . السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفي الخورى، مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٨م

* حامد غنيم أبوسعيد (دكتور)

٧ . الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧١م.

* حسين أمين، (دكتور)

٨ . تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٥م.

* حسين مؤنس (دكتور)

٩ . نور الدين بن زنكي (فجر الحروب الصليبية) الزهراء للإعلام العربي، ط٢ الرياض ١٩٨٤م.

* خاشع المعاضيدي (دكتور)

١٠. الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي، دار الحرية للطباعة، ط١، بغداد ١٩٧٥م.

* خليل السامرائي (دكتور) وزميلاه : د/طارق فتحي سلطان د/ جزيل عبد الجبار الجومرد.

١١ . تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (١٣٢ .٦٥٦ هـ/ ٧٤٩ . ١٢٥٨م) طبع جامعة الموصل ١٩٨٨م.

* ستيفن رنسيمان

١٢ . تاريخ الحروب الصليبية ترجمة د/ السيد البازالعريني دار الثقافة، ط ١ ١٩٦٧م .

* سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)



١٣ـ أوربا في العصور الوسطي، مكتبة الأنجلو المصرية ط ٨ القاهرة ١٩٩٧م.

<u>* سيف الدين الكاتب (دكتور)</u>

١٤ـ أطلس تاريخ العرب والإسلام، دار الشرق العربي، ط٣، بيروت ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

<u>* شوقي أبو خليل (دكتور)</u>

١٥ـ أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط٤، دمشق سوريا ١٩٩٩م.

<u>* عباس إقبال .</u>

١٦ . تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجاوية، ترجمة د/ محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٠م.

<u>* عبد المجيد أبو الفتوح بدوي (دكتور)</u>

١٧. التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط ٢، ١٩٨٨م.

<u>* عبد النعيم محمد حسنيين (دكتور)</u>

١٨ . السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٥م.

<u>* قاسم عبده قاسم (دكتور)</u>



١٩ . ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٠م.

*** كلود كاهن :**

٢٠ـ تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية ، نقله إلي العربية : د/ بدر الدين القاسم ، دار الحقيقة ، ط ٣ بيروت ١٩٨٣م.

***كي لسترانج**

٢١ـ بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة: بشير فرنسيس ، كوركيس عواد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م .

*** محمد أمان صافى:**

٢٢ـ أفغانستان والأدب العربي عبر العصور، المكتبة السلفية، ط١ ، القاهرة ١٩٨٨م.

*** محمد جمال الدين سرور (دكتور)**

٢٣ مصرفي عصر الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة١٩٦٠م.

*** محمد سهيل طقوش (دكتور)**

٢٤ــ تاريخ السلاجقة فى خراسان وإيران والعراق (٤٢٩ـ٥٩٠هـ/١٠٣٨ـ١١٩٤م) دار النفائس، ط١ ، بيروت ٢٠١٠م.

*** محمد عثمان الخشب**



٢٥- حركة الحشاشين (تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي) : مكتبة ابن سينا القاهرة ١٩٨٨م .

<u>* محمد العوفي (دكتور)</u>

٢٦. العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي (٤٤٧ . ٥٦٧ هـ/ ١٠٥٥.١١٧١ م) ط١، الرياض١٩٨٢م.

<u>* محمد محمود إدريس (دكتور)</u>

٢٧ - السلطان سنجر السلجوقي (سياسته الداخلية وأهم مظاهر الحضارة في عهده): المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة ١٩٨٨م.

<u>* محمد مسفر الزهراني (دكتور)</u>

٢٨ . نظام الوزارة فى الدولة العباسية (٣٣٤-٥٩٠) العهدان البويهي والسلجوقى، مؤسسة الرسالة ، ط١ بيروت ١٩٨٠م.

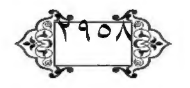
<u>* محمود عرفة محمود (دكتور)</u>

٢٩ . الدول الإسلامية المستقلة في الشرق وعلاقاتها بالخلافة العباسية،دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٨م.

<u>* مصطفي غالب : (دكتور)</u>

٣٠ - تاريخ الدعوة الإسماعيلية : دار الأندلس ،. ط٣ ١٩٧٩م.

<u>* نعمة علي مرسي (دكتور)</u>



٣١ . دولة آل زيار في طبرستان وجرجان وما جاورهما ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٥م..

*** وفاء محمد على (دكتور)**

٣١ـ الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩١م.

ثالثا ـ الدوريات:

* صلاح الدين علي عاشور (دكتور)

١. إسماعيليو إيران والسلاجقة بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الخامس والعشرين، القاهرة ٢٠٠٧م.

* عبد الرحمن الحسون (دكتور)

٢ . أهداف التربية في العصر العباسي، مجلة الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة السابعة، ج١، بيروت، ١٩٥٤م.

* منى عبد الغني حسن (دكتور)

٣. إمارة بني عقيل فى الموصل وعلاقتها بالقوي الإسلامية المعاصرة لها (٣٨٠ـ٤٨٩هـ/ ٩٩٠ـ١٠٩٦) بحث منشور فى مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثالث والعشرون، الجزء الثالث، القاهرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.